صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

شارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
....
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٢٢ « الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ — ٢ فبراير سنة ١٩٥٣ — السنة الحادية والعشرون

فهرس العدد

عدالة الأرض

ودم الشهيد حسن البنا

للأستاذ سيد قطب

قضية هذا الدم الزكى لا تزال بين يدى القضاء ، فلا تعليق لى عليها فى موضوعها ووقائعها ؛ ولكنها تثير فى النفس أشجانا ، وتكشف فى الوقت المناسب عن حقائق ، وتوجه النظر إلى حقيقة عدالة الأرض ، وترفع البصر إلى عدالة السماء ، وتميز بين ما يصنعه البشر من القانون ، وما يصنعه الله من الشريعة .. « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

إن ممثل الاتهام يقول :

« وبما أن الواقعة — كما أظهرها التحقيق — تتلخص فى أن الأميرالاى محمود عبد المجيد بيت النية على قتل المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين « المرحوم الشيخ حسن البنا » وإن لم يصل التحقيق إلى تحديد إن كان فى ذلك متفقا

عليـه مع ولاة الأمور فى الدولة — وقتئذ — أو أنه كان يعمل لهـذا حتى يحظى بتقدير ولاة الأمور أولئك ، لثقته فى أنهم أهدروا دم المجنى عليـه ، فبات تنفيذ قتله أمنيـة يتوقون إليها ويروجون لتحقيقها

« وتنفيذا لما بيت الأميرالاى محمود عبد المجيد النية عليه ، استقدم إليه الأشخاص الذين يعرف فيهم الاستعداد الإجرامى لارتكاب هـذه الجريمة ، والذين وقع اختياره عليهم لتدبيرها وتنفيذها ، وهم الصاغ حسين كامل ، واليوزباشى عبده أرمانيوس ، والأمباشى أحمد حسين جاد ، ووكيل الباشجاويش محمد اسماعيل ، والأمباشى حسين محمدين رضوان ، والباشجاويش محمد محفوظ محمد ، ومصطفى محمد أبو الليل ويوسف أبو غريب ... الخ »

وينتهى ممثل الاتهام إلى المطالبة برءوس هؤلاء الذين حددتهم عريضة الاتهام : ويقف مكتوف اليدين أمام « ولاة الأمور أولئك الذين أهدروا دم المجنى عليه » لأن قانون الأرض الذى بين يديه ، لا يساعده ولا يساعد العدالة على الأخذ بتلابيبهم على الأقل بتهمـة « إهدار دم المجنى عليه » وهم المكلفون حماية هذا الدم البرئ

والقضية بين يدى القضاء فيما يختص بالمتهمين ، فلا تعليق لى على موضوع الدعوى ولا حوادثها .. ولـكن لنفرض أن المحكمة قد أجابت ممثل الاتهام إلى كل طلباته ، وسلمت إليـه رؤوس هؤلاء المتهمين .. فماذا تساوى تلك الرؤوس بالقياس إلى رأس حسن البنا ؟ وماذا تساوى تلك الدماء بالقياس إلى ذلك الدم الزكى الذى أريق ؟

ألا ما أعجز عدالة الأرض حينئـذ ، وما أقصر يدها عن العدل فى أضيق معانيه !

إن أكبر الرؤوس فى ذلك العهـد الآثم ، رؤوس « ولاة الأمور أولئك » كما يعبر عنهم ممثل الاتهام فى احتقار .. إن أكبر الرؤوس يوم ذلك مجتمعة لا تصلح أن تكون موطئا لقدم ذلك الشهيد الكريم . ولا تحقق ذلك القصاص العادل من ذلك العهد الفاجر وممثليـه أجمعين .. فكيف ببضعة رؤوس صغيرة أكبرها رأس ذلك الأميرالاى الصغير ؟

هنا تبـدو عدالة الأرض قاصرة . ويبدو تشريع الأرض هزيلا . ويبدو مشرعو الأرض أقزاما ..

وهنا تبـدو المسافة هائلة بين تشريع الله للبشرية وتشريع الإنسان

ما جزاء ولى الامر الذى يهدر دم الأبرياء الطاهر ؟

ماذا تقول عدالة الأرض فى ذلك الاتهام الذى يذكره ممثل الاتهام على سبيل الجزم والتأكيد ؟

لعل الحصانة الكاذبة « لولاة الأمور أولئك » هى التى قيدت يد ممثل الاتهام ، فلم يستطع إليهم سبيلا !

فأى زيف زيف تلك الدساتير التى تسبغ الحماية على المجرمين وترفعهم فوق العدالة وفوق القانون ؟ وأى عجز فى عدالة الأرض كلها وأى قصور ؟

إن عدالة الأرض هذه لتمنع محكمة النقض فى مواطن كثيرة أن تحكم ببطلان الحكم الجائر إذا لم تجد سبيلا لقبول الطعن فيـه شكلا ، فإذا كانت الإجراءات الشكلية كلها صحيحة ومستوفاة وقفت محكمة النقض عاجزة عن أن تنفذ إلى الموضوع . ممنوعة من إحقاق الحق الذى تراه ، مكتوفة عن رفع الظلم الذى تعتقده !

وحتى حين تجد منفذا فى الشكل فإنها تقف مكتوفة اليدين إذا لم تجد فى التطبيق القانونى الموضوعى خطأ . . مهما يكن الحكم مع ذلك جائرا

ولقد وقف المرحوم عبد العزيز فهمى هذا الموقف فى قضية البدارى . لا يجد سبيلا إلى دفع الظلم وتحقيق العدل إلا صرخة يبعثها من أعماق ضميره ، صرخة فى وجه قانون الأرض الذى يقف جامدا مكبلا بالإجراءات !

وتخطئ المحكمة ذاتها ثم يتبين لها الخطأ بعد أن تصدر حكمها ، فلا تملك حينئذ أن ترجع إلى الصواب . .

لقد خرج الأمر من يدها بمجرد إصدار الحـكم !

ها ها ! ها ها لعدالة الأرض التي ترى الحق واضحاً ولـكنها لا تملك الرجوع إليه ، لأن الأمر خرج من يدها محافظة على الإجراءات !

أما عدالة السماء فتقول : إن الرجوع الى الحق فضيلة .

ولا تمنع القاضي الذى يصدر الحـكم ، ثم يتبين له خطؤه أن ينقض حكمه بنفسه ، وأن يرتد إلى الحق ، لأن الحق أولى بالاتباع

وبالطبع لا تقف أمام محكمة أخرى أن ترد الحق إلى نصابه بمجرد أن يتبين الحق ، غير مقيدة بهذه الشكليات التي يؤثرها قانون الأرض على العدالة ، ويصون اعتبارها ولو بإهدار دماء الأبرياء

فأين عدالة الأرض من عدالة السماء ؟!

إننا حين نطالب للاسـلام أن يحكم ، وحين نطالب لشريعته أن تكون مصدر التشريع .. إنما نطالب بشريعة أرق ، وبإجراءات أدق ، وبعدالة أكمل

والجاهلون يقولون : أتريدوننا على أن نرتد إلى الوراء أربعة عشر قرنا ؟!

يا للغرور ! يا للجهالة ! إن قانونكم هو القاصر العاجز ، وإن تشريعكم هو المتأخر الجامد ..

إن شريعتنا التي ندعوكم إليها لا تغل يد القاضي عن العودة إلى الحق ، في أي وقت وفي أي دور من أدوار المحاكمة .. حتى بعد الحـكم ، له أن يعود إلى الحق الذي يراه

إن شريعتنا لا تقف جامدة مشـلولة أمام الظلم الواقع والعدل الضائع ، لأنها تريد المحافظة على كرامة الإجراءات دون كرامة العدل والحق والقضاء

إن شريعتنـا لا تقف عاجزة أمام ملك ولا رئيس جمهورية ولا رئيس وزارة ولا وزير ولا كبير .. فحيثما كانت جريمة فشريعتنا حاضرة لردع المجرم كائنا منصبه ما كان

إن شريعتنا لا تسمى القـاتل ولا المحرض على القتل صاحب جلالة ، ولا تصون ذاته المقدسـة ، ولا تضعه فوق القانون

إن شريعتنا لا تدع ولاة الأمور يهدرون دم الأبرياء ، ثم يروحون ناجين لا تمتد إليهم يد القانون الشلاء المرلاء

لهذا نحن ندعو إلى تحكيم شريعة الإسـلام ؛ لأنها شريعة أكثر تقدما ، وأوسع أفقـا ، وأكثر مرونة .. ولأن قانونكم الأرضي قاصر جامـد متخلف لا يلبي داعي الزمن ؛ ولا يقتص لدماء الأبرياء !

* * *

تـساوقت هـذه الخواطر في نفسي وأنا أطالع صحيفة الاتهام . وأنا أبصر بيد العـدالة الأرضية قصيرة عاجزة شلاء . وأتطلع إلى عـدالة السماء فأراها شاهقة سامقة متفوقة شماء

وقلت : ألا يفتح الله على هذه البشرية فتخرج من مضيق الأرض إلى فسحـة السماء ؟ ألا يكشف الله عن بصيرة هذا الناس فيبصروا النور الذى يتخبطون دونه في دياجير الظلام ؟

إن أشد ما يثير الضحك المر .. رجال القانون عندنا ، أولئك الذين يحسبون شرائعهم عصرية تقدمية ، ويعدون شريعة الله قديمة ورجعية !

إنهم لا يكلفون أنفسهم النظر في شرائعهم وشريعـة الله . ليعلموا أن عقلية التشريع التي بين أيديهم جامـدة قاصرة حين تقاس إلى الشريعة السـمحة الحرة الدقيقة العادلة

إنهم جهـلاء ويحسبون أنفسهم من العلماء ! إنهم جامـدون ويحسبون أنفسهم متحررين « وإذا قيل لهم : لا تفسـدوا في الأرض . قالوا : إنما نحن مصلحون ! ألا إنهم هم المفسـدون ولـكن لا يشعرون »

غفر الله لهم وهداهم إلى الحق . والحق منهم على قيد ذراع

سيد قطب

باطل مشرق

للأستاذ محمود محمد شاكر

لم أكد أفرغ لنفسي ، وأنفض عن فكري مثاقل الهم الفادح الذي أتحمله إذا كتبت في شأن هذه الأمم المسلمة — حتى دخلت على في خلوتي أيام وليال، تعلمني أن الباطل المشرق ، صنو الباطل المظلم البهيم . بل إن الباطل المشرق أضرى وأفتك بالبشر من صنوه وأخيه المظلم . للباطل المظلم ردة ، كردة الوجه القبيح ، يزوى لها الناظر ما بين عينيه ، ويرد بصره معرضا عما يرى فيه من قبح. أما الباطل المشرق المضيء ، فله فتنة تنادي ، كفتنة وجه الحسناء الخبيثة النبت ، تأخذ بعين الناظر ، فيقبل عليها ملقيا بنفسه في مهالك هذا الجمال الآسر ، وإذا النبت الخبيث ذرة مستهلكة في هذا التيار المترقرق من فتن الحسن والهوى .

وهذه الرقعة المتراحبة من حدود الصين إلى المغرب الأقصى — والتي تسكنها أمم ورثت اسم الإسلام ، فنسبت إليه ، ووصفت به — تعيش اليوم في بريق متلألئ من هذا الباطل المشرق . فمنذ أكثر من مئتي سنة ، ضربها الغازي الصليبي المستعمر ضربة راسية ، حتى خرت عاجزة ، ثم ظل يضربها حتى همدت أو كادت . وفي خلال ذلك كان الغازي يستحييها بحياة غريبة عنها حتى يأتي يوم تتبدل فيه من حياة كانت إلى حياة سوف تكون . وكذلك يقضي قضاء ساحقا على أسباب الحياة الأولى ، الحياة التي كانت تعرف بالحياة الإسلامية .

ثم جاء اليوم الذي ظن فيه هذا العالم أنه ارتد إلى الحياة مرة أخرى . ونعم، إنه ارتد إلى حياة مرة أخرى ، ولكن أي حياة ! ما على الآلاف المؤلفة التي تدب في أرجاء هذا العالم من مثل هذا السؤال ؟

إن حب البقاء في الحي الفرد ، أقوى من العقل، أقوى من حب المعرفة ، أقوى من حب المال . فإذا ظفر بالبقاء على أمه الأرض ، فقلما يبالي بشيء غير هذا البقاء . ولكن الحياة الإنسانية مجتمعة لا تستقيم بحب البقاء وحده . فالاجتماع الذي يضم هؤلاء الأحياء المتشبثين بالبقاء ، يحدث لهم ضروبا جديدة من الأماني والآمال والمطامح، تغلب هذا الحب الخفي للبقاء المجرد في الفرد ، وتنشيء فيهم حبا لبقاء آخر : هو بقاء حياة الجماعة ، من حياة أنشأها الإلف والتعود، وحياة تنشئها الأماني في حياة أتم وأكمل وأمجد . والنزاع بين حياة الإلف والتعود ، وحياة الأماني في الكمال والمجد ، نزاع عنيف ، وهو على عنفه أمر غامض في نفوس عامة أفراد المجتمع ، لأنه يقوم على أماني مبهمة دائما في أول أمرها . ولا تستبين هذه الأماني إلا في فئة قليلة ، تملك من القدرة على النظر ، وعلى التأمل ، وعلى البيان عن نظرها وتأملها ، قسطا يتيح لها أن تحاول التعبير عن هذه الأماني ، تعبيرا يخرجها من حيز الأمر المبهم إلى حيز الأمر البين .

فمن هذا المدخل يدخل على الجماهير أحد رجلين : إما رجل عاقل صادق يحسن النظر والتأمل والبيان ، وإما رجل ذكي قادر يموه عليهم بالنظر والتأمل والبيان . أحدهما عارف يصدق الناس ولا يبالي ، والآخر دجال يلعب بالناس ولا يبالي . أحدهما لا يأخذهم إلا بالوسائل التي تقوم على الصدق والعدل والحق ، والآخر يأخذهم بكل وسيلة لا يمسها بصدق ولا عدل ولا حق . أحدهما يعلم الناس معنى هذه الأماني المبهمة في أنفسهم ، كما ينبغي لكل تعلم ، من جهد ومشقة وحذر وبصر . والآخر يلهمهم معنى هذه الأماني المبهمة في أنفسهم ، بما يستثيره فيهم، وما يستغله من نزوعهم ونلهفهم ، لا يأبه لشيء إلا لما يستخفهم إلى اتباعه وطاعته وتمجيده .

فالحرية مثلا شوق تهوى إليه نفوس المستعبدين . كلمة مبهمة تعيش في سر نفوسهم كالقبس المكفوف ، لو كشف غطاؤه لأضاء . فالرجل الصادق يعلم النفوس معنى

الحرية ، ويكسبها من وسائل تعلمها ما لا بد لها منه من صدق وعزيمة وجد ومشقة وبصر ، حتى تتهاوى الجدران التي تحول بينها وبين الإنطلاق ، وتنفض الأغلال الثقيلة الغليظة التي تعوق الحي عن إدراك حريته . أما الدجال ، فهو لا يزال يصرخ فيهم باسم الحرية ، ثم لا يمنح الناس من وسائلها إلا كل وسيلة لا تغني شيئاً في كفاح الجدران والأغلال ، بل ربما زادت الجدران صفاقة وقوة، والأغلال ثقلا وغلظا وفداحة . فهذا هو الباطل المشرق ، لأنه يأتي الناس من حيث تهوى أفئدتهم معنى مبهما غامضاً كريما ، فيموه هذا المعنى بما شاء من تمويه ، ليسير الناس وراءه كما هم عمياصما ، لا ليعلم الناس حقا يطلبونه ويحرصون عليه ويزدادون معه على الأيام بصراً وإدراكا .

وهذا العالم الإسلامي الذي يموج اليوم موجه ، ينبح في نواحيه هذا الباطل المشرق . ينبح في السياسة ، وفي العلم ، وفي الأدب ، وفي الفن ، وفي الأخلاق ، وفي جماع ذلك كله : في الدين . هو عالم مستغفل ، يستخفه الدعاة والدجاجلة ، يهتبلون غفلته في هذه الحياة التي ظن أنه ارتد إليها بعد همود ، ويختلسون نفضة هذا الشوق المضطرم إلى أمان مبهمة غامضة . ويتولى قيادته في كل شأنه ألسنة لا تبالي ، تستفزه إلى المغامرة في سبيل الحياة الماجدة الطيبة التي تجيش فيه . تستفزه بالنداء الصارخ باسم هذه المعاني المبهمة في ضميره ، وتمطيه وسائل وأساليب يظنها معينة له على إدراك ما يشتاق إليه ، وهي في الحقيقة مفضية به إلى التمرغ في حمأة الجهالة والعبودية والغرور الكاذب ، إلى أن يقضي الله في الناس بأمره وقضائه .

وأخطر هذه الألسنة التي تستفز هذا العالم، هي الألسنة التي اتخذت كلمة الإسلام لغواً على عذباتها — لا لأنها أعظم شأنا وأعز سلطانا من الألسنة الأخرى ، ألسنة المموهين باسم الحرية ، واسم العلم ، واسم الفن ، واسم الأخلاق ، بل لأنها تعمد إلى كتاب أنزله الله بلاغا للناس ، وحكمة أوحيت إلى رسوله لتكون نبراسا للمهتدين ، فتحيلهما إلى معان من أهواء النفوس التي لا تعرف الحق إلا في إطار من ضلالاتها وأوهامها. ثم يتبعهم التابعون الجاهلون اتباعا، هو سمع وطاعة ، ولكن لغير الله ورسوله ، بل للمزور المدلس على كتاب الله وسنة رسوله . وإذا هؤلاء المتبعون يعدون هذه الضلالة دينا، ويظنون هذا الدين الجديد إحياء للإسلام. وإذا هم يأخذون دينهم من حيث نهوا أن يأخذوا. يأخذونه عن مبتدع في الدين برأيه ، محيل لنصوصه بفساد نشأته ، مبدل لكلماته بهوى في نفسه ، محرف للكلم عن مواضعه بما يشتهي وما يحب ، مختلس لعواطف الناس بما فيه من حب اتباعهم له ، خادع لعقولهم برفعة الإسلام ومجد الإسلام ، وهو لا يبغي الرفعة والمجد إلا لنفسه .

ولقد أنبأنا معاذ بن جبل رضي الله عنه بصفة ما نحن فيه إذ قال يوما لأصحابه : « إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرآن ، حتى يأخذه المؤمن والمنافق ، والرجل والمرأة ، والصغير والكبير ، والعبد والحر ، فيوشك قائل أن يقول : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره . فإياكم وما ابتدع ، فإن ما ابتدع ضلالة . وأحذركم زيغة الحكيم ، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلال على لسان الحكيم . وقد يقول المنافق كلمة الحق . قال له يزيد بن عميرة أحد أصحابه : ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال معاذ : بلى ! اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها : ما هذه ؟ ولا يثنينك ذلك عنه ، فإنه لعله يراجع . وتلق الحق إذا سمعته ، فإن على الحق نورا »

وقد فتح القرآن ، فأخذته الألسنة كلها من مؤمن ومنافق ، ومن صغير وكبير ، وكل يقول برأيه لا يختشي ولا يرهب ولا يتقي . وظهر في كل أرض من يقول لنفسه : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ثم يعود من نحسه وشؤمه ، بجمع كل خسيسة من البدع التي تميل إليها نفوس الجاهلين الغافلين ، وتهوى إليها أفئدة الذاهلين

المفتونين بالحب لكل جديد مبتدع . وهو فى كل ذلك يعلم أن المبتدع فى كل شئ له لذة الجدة ، ويعلم أن الناس يشتاقون إلى أمر مبهم فى نفوسهم ، هو استعادة مجد دينهم ، ونشر كلمته فى الأرض ، فلا يبالى أن يشرع لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، فيؤتيهم ما يطابق ما يراه من أشواقهم ، ويزين لهم أن بلاغ ما يشتاقون إليه قريب ، إذا هم اتبعوه إلى الغاية . وأن شرط بلاغه أن يعطوه السمع والطاعة له ولمن يصطفيهم من شيعته ودعاته . فإذا تم أن تجتمع عليه طائفة من الناس ، وظهر بهم أمره ، وظنوا أنهم بلغوا بعض ما مناهم لسانه ولسان شيعته ودعاته ، قالوا إن الإسلام هو هذا الذى ندعو إليه ، وإن طريق الحق طريقنا وحده . وإن الإسلام فى غير الإطار الجديد الذى وضعناه فيه ليس من الحق فى شىء ، وإن هذا الفهم الجديد للاسلام هو خلاص المسلمين من هذه الذلة التى ضربها عليهم الغازى الصليبى .

ثم تنشق ردغة هذا الخيال ، عن صنوف مختلفة من الفساد المهلك ، تجعل تاريخ الماضى كله ضرباً من الحياة الفاسدة ، لا ينبغى لأحد من الناس أن يتلفت إليه إلا تلفت المزدرى المستنكف . وعندئذ يصبح الدين فى أذهان الجماهير المتيمة ، رسالة جديدة لها رسولها وحواريوها ودعاتها وشهداؤها . وإلى بيان هذه الرسالة تعود الجماهير ، لا إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسوله ، نعم ، بل إلى تفسير هذا الكتاب وهذه السنة كما يراها لهم طواغيتهم من كهوف التبديل والتحريف والتأويل بالهوى والضلالة . وعندئذ يتم تبديل معنى الإسلام فى الناس ، ويتم للدجال أن يبتدع بهواه إلى طب فى أهوائهم كتاباً غير كتاب الله . ولولا أن الله قد ضمن لنا حفظ نص كتابه ، وحفظ نص البيان عنه فى سنة رسوله لفعل هذا وأشياعه ما فعل أسلافهم ممن بدلوا كتب الله وحرفوها ، ومحوا منها وأثبتوا ، ونقصوا فيها وزادوا .

لولا هذا الذى نخافه ، بل هذا الذى كان مما نخافه ، لما عددت هؤلاء أشد خطرا من الألسنة التى تموج على الجماهير الجاهلة الغافلة باسم الحرية ، وباسم العلم ، وباسم الفن ، وباسم الأخلاق . فطريقهما فى الحقيقة واحد ، ومنشؤهما واحد ، ونتائجهما واحدة ، فى التغرير بالناس ، والعبث بعقولهم ، والإفساد لفطرتهم ، واللعب بعواطفهم ، وإيهامهم أن نجاتهم من عبودية الغزاة أمر قريب لا يكلفهم إلا أن يسمعوا لمن يقول لهم : كونوا أحرارا ، فإذا هم سادة أحرار كما ولدتهم أمهاتهم !

اللهم إنى أبرأ إليك مما نحن فيه . اللهم إنى أخوف الناس مما خوفهم منه عبدك ورسولك إذ يقول : « أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان » . اللهم إنى أقول كما قال صاحب رسولك معاذ بن جبل : « الله حكم قسط ، هلك المرتابون ! »

محمود محمد شاكر

شعراء الوطنية

عبـــد الله نديم

للأستاذ المؤرخ عبد الرحمن الرافعى

تحدثنا فى مقالنا السابق عن رائد أول للشعر الوطنى ، وهو رفاعة رافع الطهطاوى . وقد توفى سنة ١٨٧٣ . وظل الشعر فى مصر خلوا من المعانى الوطنية ، إلى أن تجددت فى شعر عبد الله نديم . وهو ما نتحدث عنه فى هذا المقال

هو خطيب الثورة العرابية ، وهو أيضا شـاعرها ، انطبعت فى خطبه وقصائده روح الوطنية المتدفقة . وروح الثورة

ولد سنة ١٨٤٥ بالاسكندرية ، وبدت عليه منذ صباه مخايل الذكاء اللامع ، وظهرت مواهبه فى الترسـل فى الكتابة والشعر والزجل والقـدرة الخطابية ، مع خفة فى الروح ، وميل إلى الفـكاهة . وجرأة وإقدام ، واستخفاف بأحداث الزمن

ولما ظهرت الثورة العرابية أوائل سـنة ١٨٨١ انضم إليها بطبعه ؛ إذ كانت نفسه تتأجج وطنية ، وتتطلع إلى الحرية والمجد . وتجلت مواهبـه الخطابية ، فصار خطيب الثورة العرابية

ومما يذكر عنه فى صدد الحديث عن شعره الوطنى أنه لما سافر الآلاى السودانى الذى كان يقوده الأمـيرالاى عبد العال حلمى أحد زعماء الثورة من القاهرة إلى دمياط فى أوائل أكتوبر سنة ١٨٨١ ، كان سفره يوما مشهودا . فاحتشدت الجموع فى محطة العاصمـة لتحية الآلاى حين سفره ، وكان من بين المودعين عرابى والبارودى وعبد الله نديم ، فوقف النديم وسط هـذا الجمع الحاشد وألقى خطبة حماسية فياضة بدأها بقوله مخاطبا رجال الجيش :

« حماة البلاد وفرسانها !

« من قرأ التواريخ وعـلم ما توالى على مصر من الحوادث والنوازل عرف مقدار ما وصلتم إليه من الشرف وما كتب لـكم فى صفحات التاريخ من الحسنات

إلى أن قال : وهـذا وطنكم العزيز أصبح ينـاديكم ويناجيكم ويقول :

إليكم يرد الأمر وهو عظيم ... فانى بكم طول الزمان رحيم
إذا لم تكونوا للخطوب وللردى ... فمن أين يأتى للديار نعيم ؟
وإن الفتى إن لم ينازل زمانه ... تأخر عنه صـاحب وحميم
فردوا عنان الخيل نحو مخيم ... تقلبه بين البيوت نسيم
وشدوا له الأطراف من كل وجهة ... فمشدود أطراف الجهات قويم
إذا لم تكن سيفا فكن أرض وطأة ... فليس لمغلول اليدين حريم

وختم خطبته بقوله : وأحسن ما يؤرخ به اسم الجهادية عند النوازل أن يقال (مات شهيد الأوطان !) فنادى الجميع (رضينا بالموت فى حفظ الأوطان !)

ولما شبت الحرب العرابية لازم النديم عرابى فى كفر الدوار ثم فى التل الـكبير ، وكانت مجـلته (الطائف) تصدر فى معسكر الجيش المصرى

وبعد أن وقعت الهزيمة ظل مخلصا للثورة فى محنتها . فبرهن على وفاء نادر ووطنية أصيـلة عميقة . وكان ممن أمرت الحـكومـة باعتقـالهم ، وعجزت عن التعرف إلى مقره والقبض عليـه ، وظل مختفيا عن عيونها وجواسيسها نحو تسعة أعوام . وأعيا الحـكومة أمره وجعلت ألف جنيه لمن يرشد عنه ولـكنها لم تهتد إليه

وقد وصف ما لقيه من الشدائد أثناء اختفائه فى قصيدة تفيض وطنية وإيمانا ونخرا وشـجاعة . وهى من غرر قصائده . قال :

أعسنا إذا ملنا بلينا   بلينا أو يروم القلب لينا
نم للمجد نقتحم الدواهى   بحصب خامل انا دهينا
تناوشنا فتقهرنا خطوب   نرى ليث العرين لها قرينا
سواء حربها والسلم إنا   أناس قبل هدنتها هدينا

إلى إن قال :

إذا ما الدهر صافانا مرضنا   فإن عدنا إلى خطب شفينا
لنا جلد على جلد بقينا   فإن زاد البلا زدنا يقينا
ألفنا كل مكروه تفدى   له فرسانه بالراجلينا
فأعيا الخطب ما يلقاه منا   ولكنا صحاح ما عيينا
سلينا يا خطوب فقد عرفنا   بأنا الصلب صلنا أو صلينا
وقرى فوق عاتقنا وقولى :   نزلت اليوم أعلى طورسينا
علينا للعلا دين وضعنا   عليه الروح لا الدنيا رهينا
فهل يمسى رهين فى سرور   وهل تلق بلا كدر مدينا
إذا ما المجد نادانا أجبنا   فيظهر حين ينظرنا حنينا
يغنينا فيلهينا التغنى   عن الباكى وينسينا الحزينا
ولسنا الساخطين إذا رزئنا   نعم يلقى القضا قلبا رزينا
فإنا فى عداد الناس قوم   بما يرضى الآله لنا رضينا
إذا طاش الزمان بنا حلمنا   ولكنا نهينا أن نهينا

إلى أن قال :

سلوا عنا (منابرنا) فإنا   تركنا فى منصتها فطينا
لحكمتنا تقول إذا هذرتم   ألا هبى بصفحك فاصبحينا
سرى فينا من الآباء سر   يسوق البر نحو المعوزينا
فإن عشنا منحنا سائلينا   وإن متنا نفحنا الزائرينا

وقال يصف إحاطة الجند بالنزل الذى كان فيه يريدون اعتقاله فنجاه الله من شرهم :

أأنسى يوم مصر والبلايا   تطاردنى ولا ألقى معينا
فكنت[1] الغوث فى يوم كريه   أخاف الشهم والحبر السمينا
مدحنا فيه فى إشراق شمس   فلما جاء مغربه هجينا !
وهل أنسى هجوم الجند عمراً   بلا علم وقد كنا لجينا
أحاطوا بى وسدوا كل باب   وصرنا بين أيدى الباحثينا
وكان السطح مملوءا بجند   وخلف البيت كم وضعوا كمينا
فأدركت الوحيد وكان صيدا   قريبا من نخاخ الطالبينا
وأرشدت النديم إلى مكان   رآه بعد حيرته مكينا
وأعمى الله عنا كل عين   وكنا للعساكر ناظرينا
وصرنا فوق سطح فيه علو   يحطم هاويا منه متينا
فلم أرهب وثوبى من طهار   ولم أنظر شمالا أو يمينا
ويوم الغيظ كنت لنا مجيرا   بسطوته من البلوى حمينا
فقد كنا بلا ستر يرانا   أمام العين كل القاصدينا
وكم سرنا بلا خوف جهارا   ركبنا الخيل أو جئنا السفينا
وإنى الآن فى خطب عظيم   أرى فى طيه داء دفينا
أتانا مخبر عن قوم سوء   أرادوا وصفنا للحاكمينا
وخاف الضر أحبابى جميعا   وقالوا بالوشاية قد رمينا
فعجل بالرحيل بلا توان   ولا تخبر صديقا أو خدينا
فأدرك يا أبى نجلا دهاه   من الأهوال ما يوهى البدينا
فما خفت المنون ولا الأعادى   نعم خفت انشراح الشامتينا
فسرت الليل يصحبنى ثبات   لخل نحو منزله دعينا
ورافقنى خليل كان قبلا   يوافى حين كنا ظاهرينا
وأدركنا القطار بغير خوف   وكنا بالثياب منكرينا
وألقى الله ستر الحفظ فضلا   فلم ترنا عيون المبلسينا
وكان الخل منتظرا قدومى   بخيل أوصلتنا سالمينا
ونجى الله بعد اليأس عبدا   يرى الرحمن خير المنقذينا

وإنك لترى هذا الشعر أقوى فى الروح والأسلوب من شعره فى إبان الثورة . وهكذا يبدو أن الهزيمة لم تنل منه . بل زادته قوة وحيوية وصلابة وبلاغة . وأن الشدائد قد صقلت مواهبه كما تصقل المعادن وتجلى جواهرها على لهب النار . فاحتفظ النديم فى سنى المحنة بما حباه الله من إيمان صادق . وعزم ثابت . وصمود على الأيام . وكذلك الشدائد والمحن . يختلف أثرها فى نفوس الناس . فبينما تبعث اليأس والجزع فى النفوس الضعيفة . نراها على العكس

(١) الخطاب هنا وفى الأبيات التالية موجه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام . والنديم شريف النسب

الآنسة (عطار)!

للأستاذ علي الطنطاوي

أخذت بنتي عنان الشهادة الابتدائية هذه السنة . ونالت درجة تدخلها الثانويات الرسمية التي يزدحم الناس عليها ، ويتسابقون إليها ؛ لأنها (في الغالب) أحسن تعليما ، وأمتن نظاما ؛ ولأنها بعد بالمجان والمدارس الأهلية بالأجر (الفاحش أحيانا) ، ولكني آثرت مع ذلك كله أن أدخلها (المعهد العربي الإسلامي) للبنات ، لأنه يجمع بين اتباع مناهج الوزارة ، والتأدب (ما أمكن) بآداب الإسلام ؛ ولأنه لا يعلم فيه إلا أوانس وسيدات ، فليس فيه معلمون مع المعلمات ؛ ولأن المشرفين عليه رجال منا ، يعرفون من الأمر ما نعرف ، وينكرون ما ننكر ، ولا يأبون سماع النصح منا ومن غيرنا ، واتباع سبيل الرشاد وترك طريقهم إليه أن دللناهم عليه نحن أو دلهم عليه سوانا . وكذلك يكون المسلم : يأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت ، ويسمع كلمة الحق أيا كان قائلها

وترددت البنت خشية انتقاص صواحبها ، وكلام أترابها . والنساء — مهما كانت أعمار النساء — لا يعشن من الدنيا في حقيقتها ، وإنما يعشن في آراء الناس وألسنتهم . والشقاء عند أكثرهن مع التظاهر بالسعادة حتى يظنها الناس فيهن ، أحب إليهن من أن يكن سعيدات وهن في ظن الناس شقيات . هذي طبيعة النساء !

ودخلت المدرسة مكرهة ، فما مرت أيام حتى صار الإكراه رضا ، والكره حبا . واشتد تعلقها بالمدرسة ؛ لأن فيها الآنسة عطار والآنسة شطي والآنسة درا ، وصارت تجيئنا كل ليلة فتقول لي ولأمها :

— بابا ! الآنسة عطار قالت لنا إن صلاة الجماعة

تزيد النفوس الكبيرة ثباتا وصبرا وشجاعة وإيمانا . ومن هنا جاء شعر النديم بعد هزيمة الثورة أقوى منه في أوج انتصارها

وفي الحق أن النديم هو الزعيم الوحيد بين الزعماء العرابيين الذي استمر في جهاده ضد الإنجليز وفي نضاله عن مصر في عهد الاحتلال . وتلك لعمري ميزة كبرى جديرة بأن تحيط اسمه بهالة من المجد والخلود . وقد اهتدت الحكومة إلى مكانه سنة ١٨٩١ وقررت نفيه إلى خارج القطر . وفي أوائل عهد الخديو عباس الثاني عفي عنه ورخص له بالعودة إلى مصر . فعاد إليها وأنشأ مجلة (الأستاذ) سنة ١٨٩٢ ، فتجلت فيها روحه الوطنية التي لم تضعفها الهزيمة ولم تنل منها الشدائد ، مما أحفظ عليه الإنجليز وصنائعهم . فتدخل اللورد كرومر وأمر بإبعاده عن مصر ثانية . فاضطر إلى تعطيل صحيفته سنة ١٨٩٣ . وودع قراءه وداعا مؤثرا في آخر عدد صدر منها (في ١٣ يونية سنة ١٨٩٣) قال :

« ما خلقت الرجال إلا لمصابرة الأهوال ومصادمة النوائب . والعاقل يتلذذ بما يراه في فصول تاريخه من العظمة والجلال ، وإن كان المبدأ صعوبة وكدرا في أعين الواقفين عند الظواهر . وعلى هذا فإني أودع إخواني قائلا :

أودعكم والله يعلم أنني أحب لقاكم والخلود إليكم
وما عن قلى كان الرحيل وإنما دواع تبدت فالسلام عليكم !

وانتهى به المطاف في منفاه إلى الآستانة حيث توفي سنة ١٨٩٦ . وشيعت جنازته في احتفال مهيب مشى فيه كثير من العلماء والكبراء يتقدمهم السيد جمال الدين الأفغاني . ودفن هناك

بالأمس كان غريبا في ديارهم
واليوم صار غريب اللحد والكفن

عبد الرحمن الرافعي

أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة . الآنسة عطار يا ماما ، حكت لنا قصة الثلاثة الذين انسد عليهم الغار

الآنسة عطار كلتني اليوم . الآنسة عطار ضحكت لي .

إن حيتها الآنسة عطار طارت من الفرح كأنما حيتها الملائكة . وإن بسمت لها فكأنما بسم الدهر ؛ وإن قالت لها كلمة نقشت كلتها على صفحة قلبها فلا تنساها ، وكانت دستورا لها فلا تحيد عنها . قالت لها الآنسة عطار : اقرئي كل يوم صفحة من القرآن ، فلم تعد تترك قراءة صفحة من القرآن كل يوم . وجاء دمشق (سرك) تسابق إليه الناس ، وتعلقت به البنت ، وحاولت صرفها عنه فلم تنصرف . فلما قالت لها الآنسة عطار : إن هذا السرك شيء قبيح ، صار هذا السرك أكره شيء إليها

عجبت من هذه (الآنسة عطار) ما تكون ؟ ومن أين لها هذا النفاذ إلى قلوب البنات ؟ وماذا فيها حتى تكون الإشارة الواحدة منها أبلغ من مئة نصيحة مني ، والبسمة من فمها أرضى للبنت من الهدية القيمة من يدي ! وسألت البنت عنها

— قالت : هي مدرسة السنة الثالثة ، يحبها البنات كلهن ، ألا تعرفها يا بابا ؟

— قلت : من أين أعرفها ؟

— قالت : إنها تلميذتك . هكذا قالت لي . تلميذتك ، نسيتها ؟ !

* * *

وعرفت أخيراً من هي هذه (الآنسة عطار) . لقد كانت تلميذتي حقاً وذكرت من أمرها (على قلة ما أذكر من أمور تلاميذي وتلميذاتي) ما يكون إن نشرته إماماً لكل طالبة ، وقدوة لكل تلميذة ، ومثالا للطالبة الجادة الشريفة السالمة ، فلذلك أنشره

ذكرت كيف اضطرتني إلى الانتباه إليها ، قبل أن أعرف اسمها وألزمتني (وأنا مدرسها) بتوقيرها قبل أن أخبر علمها ؛ لأني رأيتها لا تشارك التلميذات في لهو في الفصل ، أو عبث في الفسحة ؛ ولم يكن يحاولن إشرا كها معهن . وكن يتكلمن بينهن بلسان الألفة والتبسط والجراءة ، فإذا وجهت إحداهن القول إليها اصطنعت الجد وتكلفت الوقار ، وخاطبتها لا مخاطبة الترب للترب ، بل التلميذة للمدرسة ، والبنت للأم . وما كانت أكبرهن سنا ، ولكن كانت أكثرهن أدبا ، وأكبرهن عقلا . وإذا ألقيت في الفصل نكتة ضحك لها البنات ، كانت ضحكتها ابتسامة ، تومض بلطف ويختفي بسرعة . وإذا عرضت كلة فيها إشارة إلى مالا يحسن ، أو جاء بيت فيه تعريض بما لا يليق ، علا خديها الاحمرار خجلا وأطرقت حياء

وكانت الطالبات يدخلن الفصل مكشوفات الرؤوس ، يحسبن أن المدرس ليس رجلا أجنبيا ، وليس عليهن الاستتار منه ، ولا عليه غض البصر عنهن ، ومنهن من تلق على رأسها شيئا لا يستر شعرا ولا نحرا — أما هي فكانت تظهر وجهها وحده على الصورة التي صوره الله عليها ، لا التي صورتها منتجات (ماكس فاكتور في هوليود) ... تلف حوله خمارا أسود على زي ابتكرته هي لنفسها ، وسيقلدها فيه غيرها فتكون سنة حسنة لها أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة — لفا محكما أنيقا ، لا تنكره الشيخة المتدينة ، ولا تستقبحه الفتاة المتمدنة . لا يبدي الشعر ولا النحر ، ولا يثقل على رأس حاملته ولا عيون الناظرين

* * *

وذكرت كيف أخرجتها أول مرة لتقرأ شيئا ، فسمعت إلقاء أجزم أني ما سمعت قط من فتاة أوضح منه ولا أفصح ، وقلما سمعت من رجل مثله ، إلقاء خطيبة واثقة من نفسها ، متمكنة من أدبها ، ضابطة لمخارجها ؛ فاهمة لمعانيها مؤدية لها . فلو أن امرأ لا يعرف العربية يسمعها لفهم من لفظها المعنى

من تفخيم اللفظ فى موضع التفخيم . وترقيقه فى محل الترقيق ، وإيفاء اللهجات فى السؤال والجواب والدهشة والإعجاب . فكأنك لا تسمع كلاما ، وإنما تبصر من هذا الإلقاء المعبر (فلما)ناطقاماثلا ؛ على ضبط للألفاظ ، وحفاظ على القواعد ، وتمكن من اللغة والنحو

وكانت مسلمة علما وعملا واعتقادا ، وذلك جماع الإسلام

ونالت شهادة البكالوريا ودخلت الجامعة ، والجامعة فيها هذا المنكر العجيب :

الاختلاط بين الشبان والشابات فى غرفة الدرس ، وفى باحة الكلية ، وفى حديقة الجامعة ، وفى المكتبة ، وفى النادى ، وفى الرحلات والحفلات (وهما شر تلك المنكرات) . والطريق إلى الجامعة طويل ، والدروس فى الليل وفى النهار ، والجامعة فى طرف البلد بين البساتين والأنهار ، والدين ضعيف ، والزمان فاسد ، والغرائز مكبوتة ، وإبليس مستعد متيقظ . ولا يأمن مع هذا كله الفساد على بنته إلا مغامر لا يبالى ما فقد من عرضه ، أو مجنون من شأنه ألا يبالى بشئ !

فكانت سيرتها فى الجامعة عجبا من العجب . وكانت تجربة وقى الناس الله شرها . كما قال عمر بن الخطاب : وما كل تجربة يوق صاحبها الشر — لم تختلط بأحد ، لا بطالب ولا بطالبة ولا بأستاذ

أما الطلاب ، فلأن الدين والشرف والعرف تمنع كلها اختلاطها بهم ، ولو للسؤال عن موعد الدرس ، أو معادلة الكيمياء ، إذ يجر السؤال عن موعد الدرس إلى السؤال عن موعد الغرام ، والمعادلة تدعو إلى المقابلة ، وما تقابل البارود والنار ، إلا كان الانفجار !

وأما البنات ، فلأن فى خلطة بعضهن ما هو شر من خلطة الشباب ، إذ يفسدن من لا يطمع فى فسادها أفسق شاب ؛ ولأن منهم رسل الشيطان ، ووسائط الاتصال بالرجال

وأما الأساتذة فلأنهم (هم أيضا) رجال ، ولأن الشرع لما أمر بستر العورة ، وغض النظرة ، قد شمل بذلك كل رجل وكل امرأة ، فلم يستثن من النساء تلميذة ، ولا من الرجال أستاذا ؛ ولأن المدرس المؤدب المهذب الذى يدرس الخلق والدين ، لا يبقى أبدا كما يكون فى الفصل ؛ ولأن حالات مختلفات ، وغرائز وشهوات ، فإن تكلم فى الفصل بلسان عقله فقد يتكلم خارج الفصل بـ ... غير لسان العقل !

والصخرة الراسية إن أزحتها شعرة بعد شعرة حتى فقدت رسوخها ، رأيتها تتدحرج ثم تهوى فلا تستقر إلا فى قرارة الوادى . وكذلك البنت لا تسقط فجأة ، ولكنها تلين ثم تتزحزح ثم تضعف فتهوى (هى أيضا) إلى الحضيض . فرب بكر عذراء شريفة ، تستطيع أن تفخر بأشرف أب ، وأن تظفر بأفضل زوج ، وأن تكون سيدة مجتمعها ، ووجيهة قومها ، تغدو غدوة ، أوتزور زورة ، فتمزح مزحة ، وتضعف لحظة ، فإذا هى قد غدت ساقطة ، وصارت بغيا ، لا يقبل المجتمع توبتها ، ولا يغسل حوبتها . أما الذى أغواها ، فسرعان ما ينسى الناس فعلته ، ويقبلون توبته ، ويغسلون حوبته ، فيذهب هو بغنم اللذة ، ويبقى عليها غرم العقاب ، تحمله وحدها ، عارا لاسمها ، وولدا فى بطنها ، فتكون قد شرت شقاء العمر بلذة دقائق خمس أو عشر !

* * *

فلما استقرت قدمها فى الجامعة ، وعرفت (صامتة) من حولها ، اصطفت طائفة من البنات ، من كل عفيفة شريفة ، صينة دينة ، فنفخت فيهن روحا من روحها ، وصبت فيهن عزما من عزمها ، وجعلت منهن جبهة للصيانة والديانة ، والشرف والعفاف ، ييئس منها الفساق ، كما يئس من دخول الجنة إبليس . والشاب مهما كان جريئا فى فسقه لا يقدم على البنت إن رأى منها الجد والصد ، ورآها تمشى رافعة الرأس ، ثابتة القدم . وإن أقدم عليها فأغلظت رده ، أو لطمت خده ، ولعنت أباه وجده ، فإن زاد فخلعت نعلها من رجلها ونزلت به على رأسه — لما عاد

الجناس التام فى القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

ذكر صاحب الإتقان وتابعه صاحب الوسيلة الأدبية أن ليس فى القرآن الكريم من الجناس التام إلا مثالان: قوله تعالى من سورة الروم (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) ومن سورة النور (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار . يقلب الله الليل والنهار ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار)

وقولهم هذا إن صدق ليس فى ذاته بذى خطر ، فليس يهم أن يكون فى القرآن جناس تام أو لا يكون ، فما الجناس التام إلا نوع ضئيل من الجناس ، وما الجناس إلا نوع واحد من المحاسن البديعية ، وما هذه إلا باب من الأبواب التى تتحقق بها موسيقى التعبير فى فصيح الكلام ، وهى الموسيقى التى بلغت كمالها وتمامها فى القرآن. لكن القضية من حيث هى جديرة بالتمحيص لاتصالها بالقرآن الكريم من ناحية ، ولبعد فيها من ناحية أخرى فمن البعيد ألا يحوى القرآن على سعته إلا مثالين اثنين من الجناس التام

إن المحاسن اللفظية وجدت فى فصيح كلام العرب وفى القرآن العزيز قبل أن تسمى بأسمائها فى علم البيان أو البديع . فالعلم يستقرى الوجود ويصنفه ويضع لأصنافه الأسماء . وما أظن العلمين أحاطا بكل الوجود من أصناف تلك المحاسن . وموضع اللطف فى الجناس التام إذا لم يفسده التكلف أنه يلفت الذهن إلى معنيين مختلفين بلفظ واحد يذكر بمعنى ويتكرر بمعنى . فهو من حيث المعنى كلمتان مختلفتان ، ومن حيث المنطق كلمة واحدة . ومن الواضح أن السليم المفوه منه لا يكون فى الغالب إلا فى المشترك من الألفاظ

وليس لما اشترطه بعضهم فى الجناس التام من ألا يكون أحد المعنيين مجازيا محل ولا حكمة ما دام موضع الحسن هو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى ؛ فاللفتة الذهنية هى سواء أكان المعنيان حقيقيين كلاهما ، أم كان أحدهما حقيقيا والآخر مجازيا

ولعل هذا الشرط الذى اشترطوه هو الذى ضيق عليهم الواسع من أمثلة الجناس التام فى القرآن . وحتى مع هذا الشرط فإن فى القرآن الكريم من الجناس التام أمثلة فوق الذى ذكروا لا يدرى كيف خفى عليهم مكانها وهم من هم فى الدقة والتنقيب وتمام العناية بالقرآن

وهم يقسمون الجناس التام قسمين ، فما كان بين لفظين

أما سيرتها فى بيتها ، فسيرة البنت البارة ، والطالبة الجادة ، والمسلمة التى تعرف حق نفسها وحق أهلها وحق ربها ، تترك لله كل ما لا يرضى به الله ، لا رغبة عنه فى الظاهر مع رغبة فيه فى الباطن ، بل عن إيمان ويقين ، وتصديق لقول الرسول : من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

تركت القصص الفاجرة ، والأفلام الداعرة ، وكل ما تسابق اليه من اللهو الفتيات ، وما تطمع فيه من التوافه البنات ، فعوضها الله عن ذلك علما وفهما ، ومنزلة تتمناها كل بنت فلا تصل إليها إلا القليلات ؛ وراحة فى نفسها ، واطمئنانا فى قلبها لا ينالها بالمال بنات ملوك المال

* * *

هذه هى الآنسة عطار التى تعلمت من سيرتها أنه لا يصلح البنت إلا الصالحات من البنات ، فإذا أردنا الإصلاح حقا فلنعد له مثل (الآنسة عطار) التى انشر هذا الطرف من سيرتها ، لتتخذها طالبات الجامعات قدوة لهن ومثالا ، ولتزداد هى صلاحا بذلك وكمالا

على الطنطاوى

من نوع واحد كأن يكونا اسمين أو فعلين سموه متماثلا ، وإلا فهو مستوفى . ولكل أمثلة فى القرآن الكريم

فمن أظهر أمثلة المستوفى مثلان : الأول فى قوله تعالى لأسرى بدر من سورة الأنفال : (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) فإن خيرا الأولى اسم ، وخيرا الثانية أفعل تفضيل . أما المثل الثانى فى قوله تعالى من سورة المؤمنون بعد أن نفى أن يكون معه سبحانه إله غيره : (إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فإن الجناس بين الفعل علا والحرف على تام ظاهر لا ينقص منه دخول لام التوكيد على الفعل قياسا على دخول فاء العطف وأداة التعريف على أحد ركنى الجناسين دون الآخر فى بعض الأمثلة المشهورة فى علم البديع

أما التماثل منه فأمثلته فى القرآن الكريم متعددة ، نذكر الآن منها عددا ليرى القارئ البصير فيها رأيه . وما نظنه يخالفنا فيها كلها إن خالفنا فى بعضها . فمن ذلك قوله تعالى فى سورة الأنفال (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) فإن رميت الأولى المنفية لا يمكن أن تكون بمعنى رميت الثانية المثبتة ، وإلا كان ذلك من التناقض المستحيل على القرآن . فلا بد أن تكون الأولى بمعنى أصبت وتكون الثانية على ظاهرها بمعنى رميت ، إشارة إلى قذف النبى صلى الله عليه وسلم الحصى أو التراب فى وجوه المشركين فى غزوة بدر وما كان من انهزامهم عقب ذلك . فالرمى بمعنى القذف هو من النبى ، والرمى بمعنى إصابة أعين المشركين حتى انهزموا هو من الله سبحانه . فاللفظ واحد والمعنى جد مختلف

وفى الحق أن هذا المثال يفتح بابا واسعا للجناس التام فى القرآن هو باب الآيات التى ينسب فيها نفس الفعل أو الشئ إلى الخالق سبحانه وإلى المخلوق فى وقت واحد ، إذ من الواضح أن المعنى لا يمكن أن يكون واحدا فى الحالين وإن اتحد اللفظ ؛ كما فى قوله تعالى حكاية لقول سيدنا عيسى يوم القيامة تبرؤا من أن يكون دعا الناس إلى عبادة نفسه وعبادة أمه من سورة المائدة (إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) فإن « نفس » هنا فى تكرارها ذات معنى يختلف فى الموضعين اختلافا كليا حسب نسبتها إلى عيسى أو نسبتها إلى الله سبحانه . وإن جاز أن يكون اختلاف الضمير المتصل مخرجا لهذا المثل عن تمام الجناس فى منطق اللفظين

وإذا عدنا إلى الأمثلة المألوفة وجدنا مثالا آخر فى أول سورة الرحمن فى قوله تعالى : (والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

وعجيب أن يكون مثل الزمخشرى وقدفهم لفظ الميزان بمعنى واحد فى المواطن الثلاثة وإن توسع فيه لجعله يشمل كل معيار فى الكيل والوزن وغيرهما . ولكن القاموس يذكر من معانى الميزان العدل . وإلى هذا ذهب عدد من المفسرين فى الموطن الأول ففسروا «ووضع الميزان» بمعنى « وشرع العدل » كما فى روح المعانى للألوسى والتفسير المحيط لأبى حيان . وهذا يجعل الآيات الكريمة من الأمثلة الفريدة لتمام الجناس حتى ولو اتحد معنى الميزان فى الموطنين الآخرين : لكن الأقرب الأصوب أن يختلف معناه فى الآيات الثلاث ، فيكون فى الآية الأولى بمعنى الشرع الذى توزن به الأعمال والأحكام فى الجماعات ، ويشهد لهذا آية سورة الحديد: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) إذ من الواضح أن الميزان هنا لا يمكن أن يكون الآلة المعروفة بدليل «أنزلنا»، ودليل العطف على الكتاب ، ودليل الإطلاق فى قيام الناس بالقسط . هذا فى الآية الأولى . أما فى آية الرحمن الثانية فيكون الميزان على هذا مصدرا ميميا بمعنى الوزن أى التقدير والحكم . وفى القاموس من بين معانى الميزان أنه المقدار ، ومن بين معانى المقدار أنه القدر بمعنى القضاء والحكم . ويكون بمعنى

الآية الكريمة على هذا « ألا تطغوا فى القضاء والحكم » أما الميزان فى الآية الثالثة فبالمعنى المعروف . والنهى عن إخسار الميزان نهى عن الطغيان فيه ؛ لأن التعامل بالميزان عملية ذات طرفين إذا جونب القسط فيها كان ذلك طغيانا أو إخسارا حسب الطرف المنظور إليه

هذا هو الوجه فى فهم تلك الآيات الكريمة وتفسيرها تفسيرا يتفق مع الإحكام الذى وصف الله به آيات كتابه العزيز فى أول سورة هود

وهناك باب واسع من أبواب الجناس التام فى القرآن لم ينتبه إليه ، ألا وهو الجناس بين الحروف والأسماء المبنية فإن الحرف أو الاسم المبنى قد يتعدد معناه فى العربية ، فإذا ورد فى آية بأكثر من معنى كان ذلك من تمام الجناس . إلا إنه لقصر هذا النوع من الكلمات وقلة حروفه يشترط لتحقق الحسن البديعى شروط . يشترط مثلا الانفصال فلا تكون اللام فى الآية الكريمة من سورة الحجر : (قال لم أكن لأسجد لبشر) مثلا للجناس التام . ويشترط فيه التقارب فلا تكون ما الشرطية وما النافية فى الآية الكريمة (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ، وما للظالمين من أنصار) مثلا ظاهرا ، لطول الفاصل بينهما . فإذا ما تحرينا هذين الشرطين وجدنا من هذا النوع أمثلة غير قليلة . فما يتعلق بما من ذلك قوله تعالى :

« قلتم ما ندرى ما الساعة » : سورة الجاثية

« ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به » : سورة المائدة

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله » سورة هود

فإذا ضممنا إلى الشطر الأول من هذا المثل ما سبقه فى نفس الآية وجدنا مثلا لطيفا لورود « ما » ثلاث مرات بثلاثة معان مختلفة : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)

ومن الأمثلة التى تم الجناس فيها بورود « من » بمعنيين مختلفين قوله تعالى من سورة البقرة : «يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » فالأولى موصولة والثانية شرطية . وقد راعينا فى هذه الأمثلة الشرطين اللذين اشترطنا وتجنبنا ما لم يتوفر فيه شرط الانفصال ولو فى الظاهر كما فى قوله تعالى من سورة البقرة : (فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون) ففيه اتصلت ما المصدرية بالكاف . وكما فى قوله تعالى من سورة الكهف (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أو قوله تعالى : ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها) فقد اتصلت من الاستفهامية بالفاء فى الآية الأولى ، وأدغمت من فى من الموصولة فى الآيتين فكانتا كالكلمة الواحدة فى النطق وفى الرسم . وإلا فهذا النوع فى القرآن الكريم كثير

على أننا إذا جعلنا اختلاف المعنى للكلمة المتكررة هو العمدة والفصل فى الجناس التام انفتح لنا منه باب آخر هو باب الكلمة يختلف معناها لا باختلاف نوعها كما فى الأمثلة السابقة ولكن باختلاف مرجعها والمراد منها وإن ظلت الكلمة هى هى فى حقيقتها . خذ مثلا إليك قوله تعالى « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » فى موضعها من سورة الرحمن . إذ المعنى فى الإحسانين ليس بواحد ، فإن الإحسان الأول هو من العبد فى العمل ، والإحسان الثانى هو من الله فى الجزاء . فالأول بمعنى الإتقان والإخلاص لله فى العمل ، والثانى بمعنى الإكرام وإجزال الثواب للعبد . فهو فى صميمه مثل فريد من أمثلة الجناس التام إذا أخذنا فى هذا بمقوماته وروح الحسن فيه

ومثل هذا قوله تعالى من سورة براءة : (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) فإن « أذن » الأولى غير « أذن » الثانية فى الدلالة وفى المعنى الذى تفيد أنه فى موضعهما من الآية . الأولى للذم أراده المنافقون والثانية للمدح أراده الحق سبحانه وأظهره بإضافتها إلى خير . كذلك يؤمن

الأولى غير يؤمن الثانية فى المعنى وإن جاء الفرق من اختلاف حرف الجر بعدها ، فإن الإيمان بالله غير الإيمان للمؤمنين . فهذا إذا أخذنا بالجوهر لا بالعرض مثل من أروع أمثلة الجناس التام

هذه صنوف من الأمثلة جئ بها على سبيل التوضيح لا على سبيل الحصر ، وسيختلف الحكم فيها وعليها باختلاف المعايير ، ولكن سيسلم منها على أى حال لجميع النظار على اختلاف المعيار مثل جديدة تنقض تلك القضية التى جرى عليها علماء العربية ومن بينهم صاحب الوسيلة الأدبية وصاحب الاتقان ، من ندرة الجناس التام فى القرآن

محمد أحمد الغمراوى

السليقـــــية
بين الفصحي والعـــــامية

للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

السليقية نسبة إلى السليقة : وهى السجية والطبيعة والطبع . وأكثر ما تستعمل السليقة فى الطبيعة الكلامية فاذا قالوا فلان يتكلم بالسليقة أرادوا أنه يتكلم أو يقرأ بطبعه لا عن تعلم

وتستعمل السليقة أحياناً فى غير الكلام فيقال (الكرم سليقته والسخاء خليقته) . أما إذا قالوا فلان سليق بياء النسبة فلا يراد منه حينئذ إلا معنى نسبته إلى السليقة الكلامية وحدها ، ويقال كلام سليق . ويزداد معنى إرادة الكلام فى لفظ (السليقة) إذا ألحقت بها ياء المصدرية . حتى إذا قالوا السليقية سجية فلان لم يعد يفهم منها إلا الطبع اللغوى الذى نشأ عليه فلان فى بيئته : قال الأزهرى فاذا قرأ البدوى بطبعه ولغته ولم يتبع سنة قراء الأمصار قيل هو يقرأ بالسليقية أى بطبيعته وليس بتعليم . وفى حديث أبى الأسود الدؤلى أنه وضع علم النحو حين اضطرب كلام العرب وغلبت السليقية : قال صاحب اللسان فى تفسير هذه السليقية أنها اللغة التى يسترسل فيها المتكلم على سليقته أى سجيته وطبيعته من غير تعمد إعراب ولا تجنب لحن

ومن هنا نستنتج أن السليقية مادامت لغة البيئة أى اللغة التى يسترسل فيها كل متكلم بطبعه — كانت السليقية ضربين (سليقية فصاحة) (وسليقية بذلة) وهى السليقية العامة . وإنما اخترت كلمة (البذلة) مشايعة للزمخشرى فانه استعملها فى عبارة له كما سيأتى

فسليقية الفصاحة أو السليقية الفصحى هى اللغة التى غلبت على لسان المتكلم بحكم البيئة البدوية : كالأعراب الذين ملكت الفصاحة ألسنتهم فلم يتطرق إليها الفساد : فهم لا يتكلمون بها إلا معربة واضحة المقاطع ومن دون أن يتكلفوا الإعراب أو تجنب اللحن . وأشهر شاهد على هذا الضرب من السليقية أعنى السليقية الفصحى قول شاعر البادية

(ولست بنحوى يلوك لسانه
ولكن سليق أقول فأعرب)

والضرب الثانى من السليقية ماسميته (سليقية البذلة) وهى سليقية العربى العامى فى لهجته التى غلبت على أهل مصر بعد انتشار الاسلام وقد مرت الاشارة إليها فى حديث أبى الأسود مذ قالوا إنه وضع علم النحو (حين اضطرب الكلام . وغلبت السليقية)

فالعربى العامى كالعربى البدوى : غلبت على كل منهما لهجته أو لغته بحكم تأثير بيئته ونشأته : الأعرابى ترك نفسه على سجيتها فاسترسل فى لغته الفصحى لا يلوى على شىء غير متكلف إعرابا ولا متجنب لحناً ، والعربى العامى السليقى البذلة يترك نفسه هو أيضا على سجيتها فيتكلم بلغة أمه ولهجة بيئته لا يتكلف إعرابا ولا يتجنب لحنا : البدوى

يعرب بحكم السليقية . والعامى يلحن بحكم السليقية . فليس الشاعر أو الراجز البدوى سليق يقول فيعرب وحده بل إن الزجال الشعبى سليقى أيضا يقول فيلحن ولا يعرب بحكم السليقية . كلاهما سليقيان

بقى أن نورد شاهدا على السليقية الثانية (سليقية البذلة) أى على أن العربى العامى إذا استرسل فى لغته الملحونة صح أن يوصف بالسليقية وأن يقال إنه سليقى

عثرت على شاهد لطيف المنزى رقيق الحواشى أورده الزمخشرى فى كتابه (الفائق) تعليقا على مادة ظرف قال : ومن حديث معاوية رضى الله عنه أنه قال لجلسائه يوما : كيف ابن زياد فيكم ؛ قالوا : ظريف على أنه يلحن . قال : أوليس ذلك أظرف له ا ه

قال الزمخشرى : وإنما استظرف معاوية ابن زياد لأن السليقية وتجنب الأعراب مما يستملح فى البذلة من الكلام قال : ومنه البيت المشهور :

(منطق صائب وتلحن أحيا
نا وأحلى الحديث ما كان لحنا[1])

فالزمخشرى استعمل السليقية بمعنى استرسال الظريف فى البذلة من الكلام . وليست البذلة فى الكلام الواردة فى عبارته إلا التبذل وعدم التصاون فى تحرى الفصيح المعرب . ومن هنا صح لنا استعمال سليقية البذلة فى مقابل سليقية الفصاحة

فاذا كان علماء اللغة خصوا البذلة والابتذال والمباذل فى رث الثياب أو فى لبس المتهين منها فان شيخنا الزمخشرى لستعمله فى رث الكلام وعاميه والمبتذل منه

على أنهم يقولون فى فصيح اللغة (كلام مبتذل ومثل مبتذل) إذا كان كثير الاستعمال ملهوج الذكر . ولكن قولهم هذا لا يستدل منه على جواز وصف اللغة الملحونة بالابتذال . فالكلام المبتذل والمثل المبتذل إنما جاءها وصف الابتذال من ناحية اللهج بذكرهما وكثرة الاستعمال لهما حتى لو قالها الحضرى البليغ أوالبدوى الفصيح سميا مبتذلين بمعنى أنهما متداولان لا أنهما عاميان ملحونان وفرق بينهما

فالبذلة فى الكلام بمعنى العامية الملحونة إنما استفدناها مباشرة من عبارة الزمخشرى . وفوق ذلك كله فان اللحن فى البذلة السليقية إن أنكره بعضهم واستبشعه فان الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما استحسنوه وأفتوا بجوازه بل نصح بعضهم بأن يستعمل الكلام الملحون فى مخاطبة المرء لغيره وفى تحديثه جلساءه لا فى ما عدا ذلك فقال (لا تستعملوا الإعراب فى كلامكم إذا خاطبتم . ولا تخلو منه كتبكم إذا كتبتم) كأنه يقول أوصيكم أن تعربوا كتاباتكم وتلحنوا فى محاوراتكم

ولعل هذه الوصية فى مراعاة الإعراب فى الكتابة وتركه فى المحاورة إنما استندت إلى ما وقع للفراء مع هارون الرشيد : ذلك أنه دخل عليه يوما وتكلم بكلام لحن فيه مع جلالة قدره وعلو رتبته فى النحو . فقال جعفر يا أمير المؤمنين إن الفراء قد لحن . فقال الرشيد أتلحن يا يحيى ؟ (ويحيى اسم الفراء) فقال يا أمير المؤمنين ان طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضر اللحن : فاذا حفظت أو كتبت لم ألحن واذا رجعت إلى الطبع (أى فى محاورة الناس) لحنت . فاستحسن الرشيد كلامه

واعتذر صاحب صبح الأعشى للحانين فى الكلام مؤيدا الوصية المذكورة فقال إن اللحن قد فشا فى الناس . والألسنة قد تغيرت حتى صار التكلم بالأعراب عيبا . والنطق فى الكلام الفصيح عيا . والذى يقتضيه حال الزمان الجرى على منهاج الناس بأن يحافظ على الأعراب فى القرآن والحديث والشعر والكلام المسجوع وما يدون من الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها . ويغتفر اللحن فى الكلام

(١) أورد الزمخشرى هذا البيت على أن اللحن فيه بمعنى الخطأ فى الإعراب . وهو أحد الرأيين فى البيت ، وهناك من يرى أن المراد من اللحن فيه التعريض لا الخطأ ، والتعريض هو أن تقول قولا يفهمه مخاطبك ويخفى على غيره

الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم يتداولونه بينهم ويتحاورون به فى مخاطباتهم . وعلى ذلك جرت سنة الناس فى الكلام مذ فسدت الألسنة وتغيرت اللغة . انتهى كلام القلقشندى وهذه المسألة أى مسألة استباحة اللحن والإخلال بالإعراب فى لغة المحاورة موضع نزاع كبير بين فضلاء العصر ولاسيما أساتذة المدارس والمشتغلين بتعليم النشء

وينبغى أن يزاد على المواطن التى عددها القلقشندى وحظر اللحن فيها من مثل المدونات والمراسلات — يزاد كلام المدرسين والمعلمين فى قاعات الدروس حيث يبسطون محاضراتهم تحت أسماع الطلاب . فلا يجوز مجال اللحن فيها ، ولا الإخلال بالإعراب فى ألفاظها ومبانيها : فإن الناشئين فى ليونة ألسنتهم وحساسية أدمغتهم قابلون للانطباعات والتأثيرات ، فإذا سمعوا الكلام الملحون المرة بعد المرة يوشك أن تفسد ملكاتهم وتستعجم لهجتهم

ويتصل ببحث استظراف السليقية فى الكلام الملحون بحث آخر فيه طرافة وله علاقة ببحث اللهجات وهو: هل يجوز للكاتب أو المحدث أن ينقل الكلام الملحون بنصه من دون تغيير ؟ والجواب عن هذا يعلم مما مر بالضرورة . أليسوا قد أجازوا التكلم بالملحون فلأن يبيحوا نقله أو روايته بالطريق الأولى . على أن أساطين الأدب العربى صرحوا بالترخص فيه بل بترك القول الملحون على اعوجاجه وقبيح أغلاطه

قال الجاحظ فى كتابه (البيان والتبيين) ومتى سمعت حفظك الله نادرة من كلام الأعراب (وقد عنى بهم أرباب السليقية الفصحى) فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها . فإنك إن غيرتها بأن لحنت فى إعرابها أو أخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير [٢] وإن سمعت نادرة من نوادر العوام (وقد عنى بهم أصحاب السليقية العامية) أو ملحة من ملحهم فإياك أن تستعمل لها الإعراب أو تتخير لها لفظا حسنا فإنك إن فعلت أفسدت الإمتاع بها وأخرجتها من صورتها التى وضعت لها وأذهبت استطابة السامعين إياها .

فالجاحظ يرى أن رواية الأقوال الملحونة والنوادر الملتوية اللهجة يستطيبها الجلساء ، ويلذون بسمعها وخاصة إذا كان اللحن (من الجوارى الظراف والكواعب النواهد والشواب الملاح) فإن ذلك يستملح فى كلامهن مالم تكن الواحدة منهن صاحبة تكلف فإن التكلفة للكلام الملحون تسمج ويتجافى عنها الطبع ويكثر هذا اللحن المستملح فى الأعجميات من النساء كالروميات والأرمنيات

أعجب ماأسمع منها فى السحر تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر
والسوأة السوآء فى ذكر القمر

وما قولكم فى ابى اسحق بن سيار النظام فإنه كان يلحن فى كلامه ويروى عنه صديقه الجاحظ كلامه الملحون ويعتذر عنه بل يسوغ له عمله : فقد روى فى كتابه الحيوان (جزء ١ صفحة ١٣٦) أنه خرج مع النظام ليلة فى بعض طرقات الأبلة فالح على النظام كلب من شكل كلاب الرعاة فثبت له ولم يجزع وأقبل على الجاحظ يحدثه عن نفسه ويعدد خصاله إلى أن قال مانصه : إن كنت سبع فاذهب مع السباع . إلى آخر حديثه ؛ فعلق الجاحظ على هذا بقوله : لاتنكر (أيها القارئ) على حكايتى عن النظام بقول ملحون مذ قلت (إن كنت سبع) ولم (أقل إن كنت سبعاً)

ثم علل ذلك بقوله إن الإعراب يفسد نوادر المولدين كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب لأن سامع النوادر إنما أعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة ، فإذ ادخلت على هذا الأمر الذى إنما أضحك سخفه وعجمته حروف الأعراب والتخفيف والتثقيل وحولته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنجابة — إذا فعلت ذلك انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته .

(٢) أهل الفضل هنا بمعنى واحد الفضول وهو زيادة فى الكلام لا خير فيها

ثم قال الجاحظ فى مكان آخر : ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف : فإن كان موضع الحديث على أنه مضحك ومله وداخل فى باب المزاح والتفكيه فاستعملت فيه الإعراب انقلب عن جهته وإن كان فى لفظه سخف فأبدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذى وضع على أن يسر النفوس يكربها ويأخذ بأكظامها

ثم قنى الجاحظ على رأيه هذا بهذه العبارة الجريئة فقال (وبعض الناس إذا انتهى إلى ذكر كذا وكذا وعدد الجاحظ ألفاظاً يستحى من ذكرها) ارتدع وأظهر التعزز واستعمل باب التورع . وأكثر من تجده كذلك فإنما هو رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبل والوقار إلا بقدر هذا الشكل من التصنع . ولم يكشف قط صاحب رياء ونفاق إلا عن لؤم مستعمل ونذالة متمكنه انتهى

أقول قد غلا الجاحظ فى تهوين أمر كلمات الرفث والبذاء على الناس ؛ وأرى أن أستدرك عليه بما استدركه ابن قتيبة على نفسه وقد حام حول ما قاله الجاحظ فقال : ولم أترخص لك فى إرسال اللسان بالرفث على أن تجعله هجيراك على كل حال ، وديدنك فى كل مقال . بل الترخص منى فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض وأحببت لك أن تجرى فى القليل من هذا على عادة السلف الصالح فى إرسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع ولا تستشعر أن القوم (يعنى السلف الذين ترخصوا بذكر الرفث) قارفوا وتنزهت ، وثلموا أديانهم وتورعت اهـ

ثم انتقل ابن قتيبة فى كتابه (عيون الأخبار) من رواية كلمات الرفث والترخيص بها بقدر معلوم إلى رواية الكلام الملحون من نوادر وملح ، وهو موضوعنا الذى كنا فيه مع الجاحظ فقال : وكذلك اللحن فى الإعراب ان مربك فى حديث من النوادر التى نرويها لك : لأن الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر[1] النادرة حلاوتها قال : وسأمثل لك مثالا : قيل لمزبد (وهو رجل صاحب نوادر) وقد أكل طعاما كظه (أى ثقل على معدته) قِ . فقال ما أقى ؟ أقى ؟ نقى ! ولحم جدى : مرق طالق، لو وجدت هذا قيًّا لأكلته . ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفيت بالإعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ولاستبشعها سامعها

والمؤلفون فى نقد الشعر كابن قدامة لم يغب عنهم حسن ما قاله الجاحظ وابن قتيبة : فهم على شدة تنطعهم فى نقد الأقوال وتمييز زيوفها أجادوا رواية الملحون ، وحكاية السخيف من النوادر : قال ابن قدامة فى كتابه نقد الشعر (وللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز فيه غيره وهو حكاية النوادر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء فإنه متى حكاها الإنسان بغير ما قالوا خرجت عن معنى ما أريد بها وبردت عند مستمعها اهـ

هذه هى كلمتى فى السليقية بنوعيها : السليقية فى القول الفصيح، والسليقية فى البذلة من الكلام . والسليقية الثانية هى سليقيتنا نحن أبناء هذا العصر فقد ملكت علينا ألسنتنا كما ملكت لسان الفراء فى عصر الرشيد حتى أصبحنا غير قادرين على التفلت من أوهاقها إلا بتكلف وتلكؤ شديدين . وذلك يكون منا إذا رأينا أنفسنا مضطرين إلى إفهام غيرنا ممن لا يفهم لهجتنا ولا ما يحكى بها : كما إذا حاورنا أبناء المغرب الأقصى أو حاورونا ، فإن لهجاتنا المختلفة تحول بيننا وبين الاستمتاع بحديثهم فنضطر إذ ذاك إلى ترك سليقية البذلة واللجوء فى التفاهم إلى السليقية الفصحى وهى لغة القرآن وما أبركها لغة

وأكثر ما تتحقق هذه الضرورة أى ضرورة الالتجاء

(٣) معنى شاطرها حلاوتها أنه ناصفها إياها فسلبها نصفها وأبقى لها النصف الآخر

٢ ـ كوليرج

للكاتب الناقد . اى . ل . كيلركوج

بقلم الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

وفى حزيران (يونيو) من سنة ١٧٩٤ زار كوليرج صديقه أرلن فى أكسفورد وتعرف هنالك بالشاعر (روبرت ساوذى) . وقد كان روبرت هذا شابا ثاويا متحمسا فيه ميل شديد ونزعة قوية لاحتضان المبادئ المنيفة ومن هذه المبادئ نشأت فكرة (البانتيسو كراسية [1]) بتأييد من أصدقاء ساوذى ومساعدة من كوليرج . ويلخص كامبل هذه الفكرة فيما يلى : « اتفق اثنا عشر رجلا من المثقفين ثقافة جيدة وممن لهم أفكار حرة مع من يماثلهم من السيدات على الأبحار فى نيسان من هذا العام واضعين نصب أعينهم منطقة بديعة من مناطق أمريكا ، وكان المظنون أن عمل كل من هؤلاء الأشخاص لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات يوميا كان للقيام بأود (المستعمرة) . أما المنتج فهو ملك مشاع ، وكان المقرر أن تكون هنالك مكتبة عامرة ، وأوقات فراغ ملائمة ، لتخصيصها للدراسة والمناقشة وتربية الأطفال وفق خطة دقيقة معينة . كما أن واجب النساء كان يقتضى منهن التفرغ للاعتناء بالأطفال الرضع ، والقيام بأشغال لائقة أخرى . على أن ذلك يجب ألا ينسيهن تثقيف أذهانهن وإنماء مواهبهن المتنوعة بالتتبع والدراسة وبالتفهم والممارسة فى كل شأن من شؤون الحياة العامة والخاصة [2]) . أما الأمور الأخرى التى لم تقرر فى حينها فكان أهمها رباط الزوجية وهل فى الإمكان فصمه برغبة أحد الطرفين أو برغبة كليهما وكان من حق كل شخص أن يتمتع بكل حقوقه الدينية والسياسية إذا لم يكن فى ذلك اجتراء على الحقوق والقوانين المتفق عليها سابقا) وقد حسبوا أن أى شخص يدفع (١٢٥) جنيها وله مالهم من الآراء الحق فى تنفيذ هذا

(١) تعنى الكامنة المساواة وهى مذهب يدعو إلى المساواة فى الحقوق والواجبات والشاعية فى الملكية ، المترجم

(٢) من كلام المترجم

إلى لغة القرآن حينما نجتمع بإخواننا المسلمين الأعاجم الذين أصابوا ولو قليلا من الثقافة القرآنية أو الثقافة العربية : فإنه لا ينفس الكرب عنا وعنهم ويجعلنا ننعم بالحديث معهم إلا لغة القرآن . ويظهر أن وسائل النشر والإذاعة والآلات والمواصلات وفرة دواعى الاجتماع والتلاقى بيننا وبينهم فى البعثات والمؤتمرات

كل ذلك يمهد الطريق أمام استعمال اللغة الفصحى بيننا فتقوى فينا ملكة التكلم بها من حيث تضعف فى نفوسنا إلى حد محدود سليقية البذلة العامية

وإنما قلت إلى حد محدود : لأنه مادام هناك اختلاف وتباين فى عقول أبناء الأمة الواحدة وقابلياتهم ومعارفهم وتفاوت فى ملكاتهم وتربيتهم وثقافاتهم فلابد أن تبقى فيهم لهجة عامية عائشة بجانب اللغة الفصحى

على أن اللغة الفصحى مع الأسف مهما انتشرت وقام لها سوق فيما بيننا سوف تبقى عاطلة من حليتها ، مجردة من حركات إعرابها كما هى حالة لغة أهل (عكاء) فى اليمن على ما حكاه الشيخ عبد الرحمن الكواكبى للشيخ أحمد الإسكندرى . ولله الأمر من قبل ومن بعد

عبد القادر المغربى

المشروع) . وبينما كانت (البانتيسوكراسية) فى دور المخاض المؤلم ، طافت فكرة طارئة فى ذهن كوليرج فتركها هكذا وسار مشيا على قدميه فى مقاطعة ويلز

وفى اليوم الثالث عشر من (يوليو) وصل إلى (ريكسهام) وهنالك عثر على مارى إيفانز بينما كان يتمشى بالقرب من نافذة أحد الفنادق فلمحها وهى تهبط السلم إلى الشــارع مع إحدى أخواتها . وقد علق على هذه المقابلة غير المتوقعة بقوله : (هجم على المرض فجــأة وكاد الإغماء أن يوقع بى شر هزيمة ، ولــكننى تمالـكت روعى وعــكست من التراجع بسرعة) . ويظهر أن الأختين شاهدتاه (لأنهما ســارتا أربع أو خمس مرات بجانب النافذة المطلة على الشارع كأن القلق كان يحز فى قلبيهما) . ولــكن اللقاء لم يتحقق ، وهو لو تحقق لأدى إلى المصالحة على أكبر احتمال

فر كوليرج إلى (برستول) ولحق بصديقه ســاوذى هنالك مع عدد من البــانتيسوكراسيين ومنهم كانت عائلة تدعى عائلة (فركر) . وقد تزوج ساوذى (أديث فركر) بينما تزوج كوليرج (ســاره فركر) كما يقع ذلك بصورة فجائية بنتيجة الصــدمات التى تصيب العاطفة الهــائجة (فتجعلها ترتمى فى أحضان أية امرأة يضعها القــدر فى طريقها [٣]) . يقول كامبل (إن الزواج لم يعقد فى السماء وإنما قرر على الأرض وعلى يد ساوذى . إن السماء وحدها وليس أحباء كوليرج ، هى التى تعرف ما كان يحدث لو أنه اقترن بدوروثى وردزورث) ليس من حقنــا أن نرجم بالغيب فى مثل هذه الأشيــاء ، وإن نحن حاولنا ذلك فلن نصيب إلا أنفسنا . أما إن التقاءه بها كان مؤخرا فهذا حق لا يمارى فيه أحد ، وكذلك كان الحال مع وليم وردزورث أخيها . وبعد أن مكثت عائلة كوليرج أمــداً قصيرا فى (كليفندن) وبرستول تخللتها سفرة قام بهــا كوليرج وزوجه لجمع الاشتراكات لمشروع جريدة باسم (المراقب) ارتحلت هــذه العائلة مع وليدها إلى (نيذر ستاوى) فى (سومرثت) لتكون بجوار توماس بوول ، الصديق الوفى والخل المخلص . وإلى هنا قدم وردزورث مع أختــه الجميلة فى تموز عام ١٧٩٧ ، وقد لحق بهما بعدئذ تشارلى لامب وصل الجميع فى ضيافة كوليرج » وقد خلدت هذه الزيارة فى قصيدة (تحت ظلال شجرة الليمون) وبعد ذلك رجع تشارلى إلى لندن بعد مكوثه معهم لــمدة قصيرة جدا ، بينما أقام وردزورث وأخته فى (الفوكســدن) على مقربة ثلاثة أميال من دار كوليرج ، وذلك بــسبب الرابطة السحرية التى ربطتهما بعنف وقوة بكل ما له علاقة بكوليرج . وأخيرا حدثت المعجزة . قد يكون من الحق أن نقول إن كوليرج لم يبلغ مبلغ الإعجاز فجاءة ، لأنه سبق له أن طبع مجلدا من الشعر طبعة ثانية بعــد أن نفدت الطبعة الأولى ؛ ولــكن هــذا المجلد لم ينبئ بما سيقع . أما وردزورث فكان يستوحى آلهة الشعر — إن جاز لنا أن نطلق كلمة (الوحى) على ناظم قصيدة (المجاورين) — ولــكن العجب سيأخذ منا مأخذا شديدا ، لأننا سنجد هذا الناظم بالذات ينظم بعد حول فقط قصيدته العصماء (كنيسة تنيترن) فما كان غير محتمل وقع ، وما كان أملا تحقق . وقد غدا الأخ والأخت والصديق روحا واحدا ، كما شــهد بذلك كوليرج نفســه . وفى وسط روح المحبة والأخوة وتحت تأثير دوروثى بصورة خاصة ، التى كانت وحدها صامتة هادئة ، وقانعة بالتشجيع والنقد والإعجاب والإرشاد ، أقول : فى وسط هــذا الجو السحرى الرائع وجد كوليرج ووردزورث نفسيهما شاعرين مفردين بنغمات جديدة فى فجر جديد . وفى الساعة الرابعة والنصف بعــد الظهر من اليوم الثالث عشر من تشرين الثانى شرع الأصدقاء الثلاثة يسيرون مشياً إلى (وجيت) فى طريقهم إلى الريف فى (اكسومر) وذلك لأداء ما بذمتهم من نفقات بواســطة بيع قصيدة ، عزم الاثنان على نظمها فى

(٣) من كلام المترجم

الطريق ! . وقبل انقضاء ثمانية أميال من سفرتهم هذه، فشلت خطة النظم المشترك ، وأخذ كوليرج على عاتقه نظم القصيدة بمفرده ، واستمر العمل فى ذلك حتى شهر آذار التالى . تقول دوروثى معلقة على ذلك : (إنه فى الثالث والعشرين من ذلك الشهر تناول كوليرج طعامه معنا ، وكان فى جعبته قصيدته (النوتى القديم) كاملة تامة

وكان الليل بديعا والقمر بازغا ، وكنا نشعر كأن النجوم والكواكب متحلية بزينتها احتفالا منها بمولد الكوكب الجديد) . ومن الحق أن نقول إن قصيدة (النوتى القديم) تضطرنا إلى التأمل والتفكير فى أحقية ما كان يدعو إليه رجال العصور الوسيطة من أن هناك انسجاما بين الشعر والسحر، وأن (فرجيل) كان ساحرا . وكما قلنا قبل الآن يمكننا أن نفهم بمجهود يسير أن أغانى بلوك - على ما هى عليه من شحوب ووهن وذبول - كانت تعنى فى فجر عام ١٧٩٠ غير ما تعنيه الآن . ولكن يمكن أن نتجاهل ظروف ولادتها ووقت بزوغها وما يتعلق بها من نظريات ، كما يمكن أن نتجاهل وردزورث ومقدماته وما كان بينه وبين كوليرج من مشادات ومنازعات . إلا أننا مع كل ذلك وحتى بعد مرور مائة سنة ، مجبرون على الاعتراف بأن قصيدة (النوتى القديم) هى تجربة الفن الكبرى ، والكوكب الذى اصطاده كوليرج وجلبه بيديه إلى (الفوكسدن) وأراه لدوروثى ووليم وردزورث . لأنه ليس فى مجالى الشعر الإنجليزى بأجمعه - وحتى لدى شكسبير - ما يجارى فى عبقرية لغتنا الغنائية تلك النغمات العلوية التى أنشدها كوليرج فى هذه القصيدة . . فوسيقاها جذابة سهلة ، جميلة فى تصورها وخيالها وإيقاعها ، وكلماتها تجرى مجرى السلسبيل العذب فى رقتها وخفتها ولطافتها . وقد تضم القصيدة بعض الكلمات الضخمة الثقيلة إلا أنها تقوم بدورها وتمضى بيسر وجمال وبراعة؛ فشكسبير - على علو كعبه وسمو منزلته - لم يتمكن من الإتيان بما أتى به كوليرج فى هذه القصيدة اللهم إلا ببعض النتف المتناثرة هنا وهناك ... إن فى هذه القصيدة لحن الملائكة وصوتهم العذب المرتل ، وكأنهم فى إنشادهم هذا جوقة سماوية تغنى ما يحلو لها من الأنغام الدينية أمام بوابة الفردوس فى غبش الفجر

وعلى الرغم من أن النقاد يعترفون بسحر هذه القصيدة وقوة تأثيرها وجمالها الفنى ، إلا أنهم مع ذلك يسفهون هذا الاعتراف، وذلك لأنهم يصرون على التساؤل عن السبب الذى منع كوليرج من عدم اتباعها بقصائد مماثلة أو أن يكتب شيئا يضارعها .

وأخيرا لوى كوليرج رقبة إرادته النحيلة بتأثير الأفيون واشتد كابوس العادة عليه ، فأصبح - كما قال هازلت - رجلا يقدر على كل شئ إلا ما يمثل واجبا من الواجبات ! وقد تمكن مرة أو مرتين فى (كرستابل) و (قبلاى خان) أن يكتشف أجواء مقدسة ، ولكن إرادته لم تقو على الاستمرار فى التحليق فى مثل هذه الأجواء ، فانتهت قصته كشاعر فى محاولات متكررة غير مجدية لإتمام (كرستابل) . وكل هذا حق صراح ، أو على الأقل يمكن أن يكون مقنعا لأى شخص يحاول أن يستعرض مسألة شذوذ كوليرج

البقية فى العدد القادم

يوسف عبد المسيح ثروت

العروبة رابطة وهدف

للأستاذ عيسى الناعورى

فى العدد (١٠١٩) من هذه المجلة الغراء كتب الأستاذ على الطنطاوى إفتتاحية بعنوان (العربية والإسلامية) حمل فيها على فكرة العروبة وصلاحيتها لعالمنا العربى . ولسنا نشك أن الشيخ كان مخلصا فى دعوته ، وأنه كان يدافع عن عقيدة يعتقدها ويتعصب لها . ونحن نعذره لذلك ، ونرجو أن يلتمس هو أيضا لنا العذر إذا جئنا نخالفه فيما رآه ، ونسوق الأدلة التى تدفع ما أورده من حجج كان يعتقد أنها تستقيم بين يديه ، وهى فى الواقع أبعد ما تكون عن الاستقامة . وما دام الإخلاص للمبدأ وللحقيقة هو رائد الشيخ ورائدنا فمن السهل أن نتفاهم ونصل إلى نتيجة يكون بها صلاح عالمنا العربى وبلادنا العربية

لقد وقف الأستاذ فى مقاله بين عاملين : أن ينظر إلى المليونين من العرب غير المسلمين الذين يعيشون فى البلاد العربية ويشاركون المسلمين فى قوميتهم ، أو إلى الملايين الثلاثمئة من المسلمين غير العرب الذين يشاركونهم فى عقيدتهم الإسلامية ، والذين يظهر لنا أن ضخامة الرقم الأخير قد هالت الشيخ ، فرأى أن مركز العرب — أو مركز الكتلة التى فيها العرب — يقوى بهذا العدد الهائل أكثر مما يقوى بالمليونين وحدهم . ولهذا بنى دعوته على هدم فكرة الوحدة العربية ، وإقامة الوحدة الشرقية على أساس العاطفة الدينية وحدها

ثم كان من الأمور التى اعتقد الشيخ أنه قد أصاب بها المرمى وهو يحاول هدم الرأى القائل بوجود (إرادة مشتركة) بين أفراد الأمة العربية ، أنه تساءل قائلا : « إذا قرأت أنا وعربى جبل لبنان المارونى تاريخ الغزوات الصليبية ، فهل يكون أثر هذا التاريخ فى نفسى مثل أثره فى نفسه ؟ »

بهاتين الملاحظتين تتلخص أقوى حجج الشيخ فى مقاله الطويل ذى الصفحات الست ، ولسنا نجد فى بقية المقال ما يستوجب الاسترسال إلى الإقتباس أو النقاش . فليسمح لنا بأن نقف عند هذا الحد لنجيب أولا عن سؤاله ، ثم نبين له ما حاول أن يتناساه من وقائع التاريخ البعيدة والقريبة مما فى نظرته الأولى

أنا لست مارونيا من جبل لبنان ، ولكننى مسيحى كموارنة لبنان وعربى فى حقيقتى وشعورى . وأستطيع أن أجيب عن سؤال الشيخ صادقا مخلصا أننى لست أقل منه نقمة وسخطا على الحروب الصليبية — بداية الاستعمار الغربى للشرق — وعلى الذين شبوها تحت ستار من الدين . ولست أقل منه سخطا على الدين نفسه — كل دين — إن كان من مبادئه أن يحل القتل والدمار فى سبيل السلطان والمنافع الدنيوية . ولست أيضا أقل منه سخطا ونقمة على الغربيين المستعمرين ومظالمهم المجرمة فى بلادى . ولا ينس الشيخ أننى أشترك مع هؤلاء المستعمرين اليوم ، ومع أجدادهم الصليبيين فى الأمس ، بالعقيدة الدينية ، ولكننى احتقرهم وأنقم عليهم بدافع من شعورى العربى القوى الذى أذلوه ولا يزالون يمعنون فى إذلاله

وهذا الذى أقوله هو ما يقوله كل مسيحى عربى واع . وأظن الشيخ يوافقنى فى أن قياس الحكم فى مثل هذه الأمور هو الإنسان المثقف الواعى وليس السواد الأعمى . ولهذا أرجو أن يكون هذا الجواب كافيا لإزالة ما بنفس الشيخ من هذه الناحية

أما أن الثلاثمئة مليون من المسلمين غير العرب أحق بأن يؤلفوا مع العرب وحدة كبرى ، فإننى أخالف الشيخ فيه كل المخالفة . ولست أظن الشيخ قد نسى «الشعوبية» — وهى لعنة أقدم وأدهى من الصليبية — وما جرته على الأمة العربية من خراب وذل ، مما لا يزال يرويه التاريخ بكثير من الخجل والمرارة . والشيخ لا يجهل أن الشعوبيين

م من الجماعات غير العربية التى أفسح لها الإسلام من رحابه كرما ، ووسع لها فى كنفه تسامحا ، ولكن إسلامها لم يعنمها من النقمة على العروبة — والعروبة منشأ الإسلام ومنبته الأول — فكانت هى أول العوامل على تقويض سلطان العروبة والإسلام

ولست أرى فى موقف الشعوبيين ذلك ما يستحق المؤاخذة على الإطلاق ، فقد كانوا برغم وحدة العقيدة الدينية يشعرون بأن العرب أمة فاتحة ، احتلت بلادهم ، وجبيت إليها أموالهم ، وتسلطت على ممالكهم تسلط الفاتحين ، وعاملتهم فى عهد الأمويين معاملة الخدم والموالى ، فكانوا لذلك ينظرون إلى هذه الأمة الفاتحة — أو المستعمرة بلغة اليوم — بشعورهم القومى المعادى الحذر ، تماما كما ننظر اليوم إلى المستعمرين الغربيين بشعور الكراهية والعداء القومى

والذى حدث فى الماضى لدينا منه نماذج فى حاضرنا المشهود — وهو فيما نرى شئ طبيعى جدا فى مفهوم القوميات . — فهذه تركيا ... جارتنا المسلمة — ترى أية رابطة يمكن أن تقوم بينها وبين سوريا — بلد الشيخ الطنطاوى العربية المسلمة ؟ — ألم تقطع من قلب سوريا جزءا عزيزا غاليا هو لواء الاسكندرونة الذى لا يزال كل سورى يحلم باستعادته ؟ وتركيا بهذا قد كسبت لنفسها نصرا قوميا على حساب خسارة العرب القومية

ألم تتنكر تركيا لشعورها الدينى نفسه ولشعور العالم الإسلامى كله ، فى عهد قريب جدا ، وتحارب الأمة العربية رغبة فى تنمية شعورها القومى ، وصيانة سيادتها القومية الكاملة ؟ ثم ألم تتنكر تركيا المسلمة نفسها فى عهدها الحاضر لكل ما أجمعت عليه جاراتها العربيات المسلمات من محاربة إسرائيل — عدوة العرب وحدهم ، لا المسلمين كلهم — ومقاطعتها ومحاصرتها وعدم الاعتراف بها ؟ وهل يذكر الشيخ لتركيا موقفا جديا واحدا فى تأييد أمانى البلاد العربية معاضدة قضية من قضاياها ؟

ويشهد الله أنى لا ألوم تركيا فى شئ من هذا ، فهى تعرف مصالحها السياسية والقومية ، وتعمل ما يناسبها بوحى من هذه المصالح وحدها ، ولكننى أسوق هذه الأمثلة والحجج لأثبت للشيخ أن الدين وحده ليس بالرابطة التى تصلح لبناء وحدة الأمة ، فلعله يؤمن معى بأن (الإدارة المشتركة) موجودة بين أبناء العروبة أتم وجود ، بينما هى بين الشعوب الإسلامية ، كما هى بين الشعوب المسيحية والوثنية واللادينية أيضا ، إذا أمكن وجودها إلى حين ، فلا يمكن وجودها إلى الأبد ، ولا إلى وقت طويل ، لأنها روابط مصلحية وقتية لا شعور طبيعى

لست أنكر أن المسلم العربى يشترك مع المسلم غير العربى فى الشعور الدينى ، كما يشترك المسيحى العربى مع الإنكليزى أو الفرنسى أو الأمريكى مثلا بهذا الشعور الدينى ، ولكن هناك حقيقة كبرى لا يجوز أن نتجاهلها وهى أن المصالح القومية لن تتقيد فى يوم من الأيام بالشعور الدينى وحده ، فالمسيحى العربى ينظر إلى المستعمرين الغربيين ... وهم من دينه ... نظرته إلى أعداء بغيضين ، يتمنى أن تتيح له الأيام فرصة الثأر منهم لكرامته القومية المهانة . وقد أثبت بالفعل فى كل مناسبة شدة عدائه لهم ، وفلسطين أقرب شاهد على هذا

إننى مع الأستاذ الطنطاوى فى أن الأمة العربية لم يوحدها ولم يكتب لها تاريخ المجد سوى الإسلام ، وأنا أعتز مع الأستاذ كل الاعتزاز بالإسلام وبهذا المجد الذى كتبه الإسلام للأمة العربية . فالإسلام مصدر فخر واعتزاز قومى لكل عربى ، ولكن « العروبة » التى خرج منها الإسلام لن تكون قط مصدر فخر واعتزاز لكل مسلم غير عربى . وإذا كانت بعض الشعوب الإسلامية تشارك البلاد العربية فى شعورها وأمانيها فى بعض المناسبات ، فليس معنى هذا أنها ترغب مخلصة فى ربط حياتها ومصالحها السياسية والاقتصادية معها برباط واحد وإلى أمد طويل ،

ولكن مصالحها الحالية ، وكلها شعوب ضعيفة يعيث فيها النفوذ الأجنبي المجرم ، تدفعها إلى أن تقوى مركزها بأية وسيلة ممكنة ، وبالتعاطف بينها وبين أية كتلة من الشعوب الأخرى ، القريبة منها والبعيدة ، التى تشترك معها فى الكفاح لأجل الحرية ، تماما كما فعلت فرنسا وبريطانيا فى الحربين العالميتين الأخيرتين وإلى الآن ، على الرغم مما يتذكره كل بريطانى وكل فرنسى فى تاريخ الأمتين من حروب وعداوات طويلة الأمد

أفلا يؤمن معى الأستاذ الطنطاوى إذن بأن الأقرب إلى العقل والمنطق السليم هو أن تقوم « الأمة العربية » على وحدة الشعور ، والتاريخ ، واللغة ، والتقاليد ، قبل أن تقوم على رابطة الدين وحدها

وهذا لا يمنع من أن ترتبط هذه الأمة الواحدة ، ذات الإرادة المشتركة الواحدة ، والتاريخ الواحد ، واللغة الواحدة والتقاليد الواحدة ، برباطات التكتل الدولى والصداقة مع سائر الشعوب التى تجمعها بها دوافع الكفاح للتحرر من سلطان المستعمرين — سواء أشاركتها فى الدين أم خالفتها فيه — لأن هذا يدخل فى باب « المصلحة الوطنية » لا الشعور القومى المشترك ؛ وهو يقوى من مركزها فى كفاحها ضد الظالم

بعد هذا أود أن يعلم الشيخ أننى لست أدافع عن عقيدة حزب معين ، فلست من المنتمين إلى الحزب الذى يقول حضرته بلهجة الاحتقار أنه « قد ألفه فى عهد الفرنسيين أحد شباب النصارى » — وهو يقصد حزب البعث العربى ومؤسسه ميشيل عفلق — ولكننى واحد من الذين يتعصبون للعروبة عن عقيدة واقتناع ، ويؤمنون بأنها الوسيلة الوحيدة لوحدة الأمة العربية ، ولإقامة تاريخ جديد ، على أسس من المنعة والرفعة والكرامة ، لهذه الأمة العربية التى أشترك أنا والشيخ فى الانتساب إليها والاعتزاز بها ، برغم اختلافنا فى الدين ؛ هذا الاختلاف الذى جاءنا بحكم الولادة والأسرة ، وليس للشيخ ولا لى أية فضيلة أو يد فى اختياره

عيسى الناعورى

شعر مختار

... وبقيت وحدى

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

كان الضيا السمح يمرح بين أغصان النخيل
وأنا أسير مربع الأشواق من خمر الأصيل
متلفعا بالنور آونة ، وبالظل الظليل ...
وكما أتى ، ذهب الأصيل ، كأنه نغم جميل
فتسلق النور الذرى مترقبا وقت الرحيل
حتى إذا وفد المغيب طواه فى صمت جليل
فمضيت لا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد !
فلقد مضى عنى الأصيل بنوره .. وبقيت وحدى

* * *

وأتى المساء ، فهللت روحى لأسرار المساء
ومضت تهيم ، وملؤها ظمأ إلى نبع الخفاء
مسحورة بالصمت يرسل لحنه ناى الفضاء
مسحورة بالغيب يدعوها وعمن فى الدعاء
حتى إذا انتفضت ، وكاد السر يدركه الرجاء
ذهب المساء كأنما ارتفعت به أيدى السماء
فمضيت لا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد !
فلقد مضى عنى المساء بسره .. وبقيت وحدى

* * *

ولكم بدا ما أرتجيه ، وكم توارى بالحجاب
ولكم أتى ما أشتهيه ، وآب مبكى الإياب
حتى الذين نسيت عند لقائهم ذكرى عذابى
صحبي ، ولم أعرف أعز من الحياة سوى الصحاب
ذهبوا كما ذهبت أمانى النفس فى فجر الشباب
وبقيت أحيا بعدهم مثل الحيير فى الضباب
أمضى ولا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد ؟
فلقد مضى عنى الصحاب كما أتوا وبقيت وحدى!

* * *

حتى التى غنى بها قلبى ، فغناها الوجود
ومنحتها ما تشتهيه من الحيـاة ، وما تريد
نسيت غرامى ، حين طاف بقلبها حب جديد
يا هـذه : كيف استباح الحب أفاق طريد ؟
وعلام أجنى الشوك فى حبى ، ومن غرس الورود؟
وعلام أذهب فى الحياة كأننى نغم شريد ؟
أمضى ولا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد ؟
فلقد مضى عنى الحبيب بحبه ... وبقيت وحدى

* * *

وأرى الشباب ، ربيع أيامى ، يقارب أن يضيع
فتموت فى قلبى الحياة ، وقد خبا وهج الربيع
وأحس عمرى زهرة جفت على أيدى الصقيع
فأظل مطوى الضلوع على أسى يفرى الضلوع
أتذكر العهـد الذى ولى وليس له رجوع
وأعيش .. فى روحى كآبات ، وفى قلبى دموع
أمضى ولا أدرى لأية غاية ، ولأى قصد ؟
فلقد مضى عنى الشباب بدفئه .. وبقيت وحدى!

* * *

يا ويح قلبى ، حين يقبل فى غد شبح الفناء
وأنا المعذب فى الحياة ، أظل أرغب فى البقاء!
لـكن إذا نزل القضاء ، فلا مفر من القضاء
هـذا أنا ... نعش يسير مشيعا بالأصدقاء
هذا أنا ... جـدث تمر عليه أقدام العراء
هذا أنا ... جسد يعود إلى الثرى ، من حيث جاء
هذا مصيرى ! بل مصير الناس من قبلى وبعدى !
فعلام أجزع إن تخطفنى الردى ، وبقيت وحدى ؟

إبراهيم محمد نجا

إليهـــم ...

« إلى إخوتى المهاجرين زفراتى وأناتى »

للأستاذ هارون هاشم رشيد

ومهاجرين معفرين على دروب التيه هاموا
يمشون والأقدار كابية فما فيها ابتسام
أقواتهم ماذا ؟ وكيف ؟ فليس عندهم وطعام
هم هؤلاء بقية الشعب الذى عرف الأنام
ذاك الذى بالأمس أشعلها فشب لها ضرام
شعواء دامية يردد رجعها الجيش اللهام
قال السلام وكيف يلمها على يده السلام
والذئب يفتك بالقطيع إذا تولاه الظلام

* * *

هذى الخيام ، ألا ترى ضاقت بمن فيها الخيام
لا . لا يروعك السقام فلن يحطمها السقام
لا . لن يضير عقيدة من أجلها سلوا وصاموا

غزة — هارون هاشم رشيد



رأى كاتب أمريكى فى أدب الولايات المتحدة

قال الكاتب الأمريكى (بن لوسيان بورمان) ماملخصه:

رصدت الأدب فى الولايات المتحدة منذ ١٩٢٠ فوجدته ينمو ولكن إلى ضعف، ويتقدم ولكن إلى هاوية. فالسخف والسطحية والفجاجة والدعاية والمسخ حلت محل الفن والعمق والجمال والجودة. ومن النادر الأندر أن تجد قطعة فنية ترضى ذوقك وعقلك. فان القصصى الحق يجب أن يجمع بين المخبر البارع والشاعر المصور، ولكنا لا نجد فى الكثير الأغلب إلا نثرا سخيف الأسلوب ومخبرا ضعيف الملاحظة. والقصة الجيدة يجب أن تكون سمفونية؛ ولكنا لا نسمع اليوم إلا لحن (البوجى يوجى). والقارىء العابر إذا لم يجد الخيال الذى يعكس حياته، والقصص الذى يصور شعوره، انصرف إلى قصص البوليس أو إلى تراجم الأشخاص. ولعل هذا عرضا من أعراض الشك الذى نعيش فيه من جراء هذه الحروب الثلاث التى تركت الناس بغير أمل ولا يقين. فمستوانا مبهم، وعقائدنا جامدة، وبلادنا (يريد أمريكا) سيطرت عليها البدع والهوايات. وأدبنا تقليعة من أقبح (التقاليع) لأنه لا يقوم على أساس فنى متين. فهو يتجه اتجاها جنسيا إلى المسائل الجنسية والشؤون الحزبية، ويحرص على انتاج الأسفار الكبيرة؛ وهذه الأسفار الكبيرة هى التى بلغت بالانحطاط الأدبى إلى مداه.

واللوم كله واقع على الذين يكتبون لا على الذين ينشرون. والكتاب فى أمريكا طوائف متنوعة كل طائفة تحمل لصيبا من المسئولية. فطائفة تتبع الكاتبة المسرحية المرحومة جرترود ستين بأمانة وإخلاص. وطائفة من صعاليك المجتمع الأدبى يظنون أن الدفاع عن قضية من القضايا يكفى لإنتاج عمل أدبى عظيم. ومع ذلك فان الفن هو الفن، والدعاية هى الدعاية ولا يستطيع أدب الصعاليك أن يكون أدبا بالمعنى الصحيح. وهناك طائفة ثالثة وهم الواقعيون الذين يلقون من أيديهم ريشة الفنان لقبضوا آلة التصوير، ناسين أن الشرط الأول لكل فن هو الانتخاب. وأنا كفنان أحتج على مبدأ: القبح للقبح

إن د. هـ. لورنس كان عبقريا، وإن من قصصه مابلغ حد الكمال. ولكن الذين يعالجون اليوم المسائل الجنسية كما عالج نسبة عملهم إلى عمله كنسبة مؤلف قصة بوليسية إلى أناطول فرانس مؤلف جريمة سلفستر بونار. وهناك الذين أدخلوا التحليل النفسى فى القصة فزادوا الطين بلة والأمر ارتباكا، وشر من هؤلاء جميعا أولئك الكلبيون من أعضاء جماعة النقاد بنيويورك الذين أقاموا أنفسهم بالادعاء والسفسطة أوصياء على الأدب فأشادوا بما لا ينبغى ونوهوا بمن لا يستحق. ولم يعلموا أن ملكة النقد آلة دقيقة حساسة إذا ضعفت بسوء الاستعمال فلا تغير ولا تجدد. ولعل أساس هذه البلبلة التى أصابت الذوق فى الولايات المتحدة هو الثورة التى تمت بالتدريج فى هذا الصدد؛ فإننا أحللنا محل الموضوعية الإنجليزية والفرنسية ذلك التأمل الباطنى الغزير على الذهن الألمانى والروسى

فالأدب الأمريكى تكون تحت تأثير مؤلفين كديكنز وتكرى وجالسورثى من الإنجليز، وميرميه ودوديه وموباسان من الفرنسيين؛ وهؤلاء الكتاب كانوا يرون الصفات الجوهرية فى القصة هى التماثل والجو والحبكة. وفى آخر الحرب العالمية الأولى استولت خيبة الأمل على الكتاب الأمريكيين فظهرت فيهم نماذج صغيرة من ترجنيف وتشيكوف. فالروح المرحية التى تنشأ عن الفهم العميق واللمس الرقيق الدقيق أصبحت فى أمريكا محرمة كاللعنة. والخالقون الموضوعيون الذين جعلوا دستورهم الفن للفن لم يبق لهم وجود هنا. وهؤلاء الكتاب

الـكلبيون لم يعد فى معاجمهم لفظ واحد للجمال ولا للفن . فنحن فى حاجة إلى آلهة جدد، وإلى دين أدبى جديد ؛ لأن الدين الأدبى الحاضر دين الحقارة والفجاجة والضحول يحمل فى طواياه الجراثيم التى ستدمره . إن الأدب بغير جمال لا يلبث أن يذوى ويموت

آراء المعاصرين فى فكتور هوجو

وجهت صحيفة الفنون الباريسية إلى بعض كبار الأدباء الفرنسيين أسئلة عن مدى تأثير هوجو فى الـكتاب المعاصرين . وقد دلت الأجوبة التى نشرتها هذه الصحيفة على زهو أصحابها وادعائهم . فبعضهم أصدر حكمه بلهجة تنم عن استخفافه بكبير شعراء فرنسا . والبعض الآخر لم يخرج فى أجوبته عن حد النـكتة . بيد أن اندريه برتون زعيم المذهب السوريالى أجاب بصورة جدية فقال : ان أهم حركة وجدانية فى الشعر الفرنسى تستمد قوتها من شعر هوجو ، كما أن الحركات الاصلاحية التى قام بها (كانت) لا تزال القاعدة التى يسير عليها كبار الـكتاب والشعراء . وفى رأيه ان كثيرا من شعر هوجو يعبر عن أهداف المذهب السوريالى أصدق تعبير . ثم أردف قائلا : «سئل مرة اندريه جيد من هو أعظم شاعر فرنسى ؟ فأجاب: فكتور هوجو»

وكان جواب (بليه سندر) ان فكتور هوجو أقدر رائد عرفه الأدب .

لقد كان فى أوائل هذا القرن بقية من أتباع الأدب الرمزى لا يستسيغون الشعر الابتداعى ولا يطيقونه ، منهم ريمى جورمون واندريه سواريه . فقد كانا يمقتان قوة هوجو البيانية ، كما كان بجوى ورومان رولان يتزعمان طائفة من محبيها . وكان أناطول فرنس يبتسم كلما ذكرت أمامه منتجات هوجو المسرحية ، ولـكنه كان من أكبر ممجديه . وقال جان كوكتو فى جوابه : إن هوجو مجنون بصورات فكتور هوجو . وعلى الرغم مما فى هذا الجواب فانه قال ان استحسان الأعمال الـكبيرة أو استهجانها أمر من أسهل الأمور . ثم استطرد يقول: نحن ننظر إلى الأعمال الثانوية بكثير من التدقيق للوقوف على ما فيها من جيد أو ردىء . أما أصحاب الأعمال العظيمة كشكسبير ودانتى وجوته وهوجو وأشباههم فإما أن نحبهم فنحول سيئاتهم حسنات ، وإما أن نكرههم فنجعل حسناتهم سيئات

ومن الطبيعى أن يوجد بين شبان اليوم من لم يقرأ هوجو ، ولا يشعر بحاجة إلى هذه القراءة ، لأنه يجد بين كتاب عصره من هو أقرب إليه وأقدر على وصف بيئته وحوادث حياته . أما أن يقول أديب مثل جول رومان ، فى جوابه عن السؤال الذى طرح عليه ، إن هوجو كان كثير الانشاد ، وأنه لم يقرأه إلا فى حداثته ، فهذه حذلقة لا تطاق

مع جول رومان

سأله محرر إحدى الصحف الأدبية الفرنسية هذه الأسئلة فأجابه هذه الأجوبة

س : أى شئ يسبب لك الشقاء ؟ ج : الحرب .

س : أين تحب الإقامة ؟ ج : فى منزلى .

س : ما هى السعادة التى تنشدها فى حياتك ؟

ج : أن أشتغل بسلام .

س : ما هى الهفوات التى تستحق عفوك ؟

ج : فضول إحدى الصحافيات .

س : من هم أحب أبطال الروايات إليك ؟

ج : أولئك الذين استطاعوا أن يؤثروا فى

س : ومن بطلات الحياة الواقعية ؟

ج : تلك التى تقف حياتها على تربية بنيها

س : من أحب رجال التاريخ إليك ؟

ج : كلهم من أبغض الناس إلى

س : ومن أحب بطلات الروايات إليك ؟

ج : ثلاث أو أربع من نساء شكسبير

س : ومن أحب الرسامين إليك ؟

ج : نحو عشرين ولكن حسب اليوم والساعة

س : ومن أحب الموسيقيين إليك ؟

ج : جان سابسطيان بخ

س : ما هى الحلة التى تفضلها فى الرجل ؟

ج : سمو الخلق

س : وفى المرأة ؟ ج : الحلة نفسها .

س : وماأحب الفضائل إليك ؟ ج : الإخلاص .

س : وأحب الأعمال ؟ ج : الاختراع .

س : ماذا تود أن تكون ! ج : هذا سؤال غريب

س : ما هى أبرز مزاياك ؟

ج : أرجو أن تسأل عنها خصومى .

س : ماذا يرضيك من أصدقائك ؟ ج : الأمانة

س : ما أظهر عيوبك ؟

ج : أرجو أن تسأل عنها أصدقائى .

س : أى عمل تفضله على غيره ؟

ج : ذاك الذى يثير حماستى ويسرنى .

س : أى الألوان أحب إليك ؟

ج : كلها مجتمعة ، أو كل على حدة

س : وأحب الأزاهير ؟

ج : كلها ، أو كل منها فى فصله الخاص .

س : ومن أحب الكتاب إليك ؟

ج : أولئك الذين ساعدونى على فهم العالم

س : ومن أحب الشعراء إليك ؟

ج : أولئك الذين لم أطلع على تاريخ حياتهم .

س : وماأحب الاسماء إليك ؟

ج : نصف أسماء التقويم العام .

س — وما أبغض الأشياء عندك ؟ ج : البلاهة

س : وما أهم الأعمال الحربية فى نظرك ؟ ج : فردان

س : ماذا تريد أن تملك من مواهب الطبيعة ؟

ج : تلك التى لا أملكها ولا أعلم ما هى

س : كيف تشتهى أن تموت ؟ ج : فجأة

س : ما هى حالتك الروحية الحاضرة ؟

ج : لا تسمها المجلات

توزيع السكان فى الشرق الأوسط

ننشر فيما يلى جدولا بتوزيع السكان فى بلدان الشرق الأوسط نقلا عن تقرير منظمة الأمم المتحدة عن الاقتصاد العالمى :

محمية عدن — المساحة ٢٧٢ ألف كيلومتر مربع . السكان ٦٥٠ ألفا . كثافة السكان ٢ بالكيلومتر المربع

أفغانستان — المساحة ٦٥٠ ألف . السكان ١٢ مليونا الكثافة ١٨

المملكة العربية السعودية — المساحة ١٥٤٦ ألف ك . السكان ستة ملايين . الكثافة ٤

قبرص : المساحة ٩ . السكان ٤٧٦ ألفا . الكثافة ٥٣

مصر — المساحة ١٠٠٠ ك . السكان ٢٠ مليونا و ٤٥ ألفا . الكثافة ٢٠

العراق — المساحة ٤٣٥ . السكان أربعة ملايين و ٨٠٠ ألف . الكثافة ١١

إيران — المساحة ١٦٣٠ . السكان ١٨ مليونا و ٣٨٧ ألفا . الكثافة ١١

الأردن — المساحة ٩٠ . السكان ٤٠٠ ألف . الكثافة ٤ بدون اللاجئين

قطر — المساحة ٢٢ ، السكان ٢٠ ألفا الكثافة ١

الكويت — المساحة ٢٢ ، السكان ٢٠ ألفا الكثافة ٨

لبنان — المساحة ١٠ ، السكان مليون و ٢٣٨ ألفا الكثافة ١٣٢ بدون اللاجئين

عمان ومسقط — المساحة ٢١٢ ، والسكان ٨٣٠ ألفا ، الكثافة ٤

عمان (تحت نظام المعاهدة) — المساحة ١٥ ، السكان ٨٠ ألفا ، الكثافة ٥

مسرح وسينما

مسرحية «أم رتيبة»

تأليف : الأستاذ يوسف السباعي إخراج : فتوح نشاطي
تمثيل : الفرقة المصرية

للأستاذ علي متولى صلاح

الإنسان — منذ كان — يتقلب بين الفرح والترح ، وتعتوره السراء والضراء ، وللجد عنده — كما يقول الشاعر — أوقات وللهزل مثلها ، وحياة موزعة بين هذين الأمرين ، ولن يستقيم لإنسان — مهما كانت الظروف التي تشتمله وتحيط به — واحد منهما دون الآخر

ولما كان المسرح — كما هو معلوم — صورة من الحياة وتعبيرا عنها وتفسيرا لها ، تعطيه الحيـاة فيأخذ ، وتمده بالصورة فيعبر ، كان — هو الآخر — متقلبا بين الفرح والترح ، والسراء والضراء .. ومنذ الأزمان السحيقة كان إلى جانب « التراجيديات » الفاجعة « كوميديات » هازلة ضاحكة ، وقد عرفها اليونان الأقدمون وكان لهـــا فيهم شعراء أعلام ما زال المؤلفون ينهلون منهم حتى اليوم ، مثل (أرستوفان) ، (فيلامون ، (ميناندر)

وقد عرفت الكوميديات الهزلية فى مصر منذ أمد ليس بالقصير ، وكان لها مسارح خاصة ، وممثلون يقومون بأدائها ولا يشاركون فى أداء غيرها ، وكتاب يكتبون لها ويكادون يقتصرون عليها

وليس شئ أكثر ذهابا فى الضلالة عندى من الرأى الذى ينادى بأن تقصر العناية على الجوانب الجادة فى حياة النـاس دون الجوانب الهـازلة الضاحكة . إن ذلك خطر يجب أن يتنبه إليه المسئولون ، فالسم أكثر مايكون خفاء عنـدما يندس فى العسل ، والنفوس يستهويها النكتة وتأخذها الكلمة الضاحكة فتتسرب خلالها الحكمة والموعظة فى لطف ويسر وخفاء لا يكون فى الكلمات الجادة الصارمة ! والمسرحية التى جعلناها موضوع حديثنا اليوم من المسرحيات الكوميدية التى تعرض على النـاس هذه الأيام ، وأعنى بها المسرحية المسماة « أم رتيبة »

وهى تقوم على قصة أخوين : رجل وامرأة ، أما الرجل فقد كان يشتغل مدرسا للخط العربى ثم أحيل على المعاش ، فاشتغل بتحضير (الأرواح) وانهمك فيه وجمع حوله بطانة من محبيه ومريديه يعقدون بين الفينة والفينة (جلسة) لتحضير الأرواح والتذاكر فى أحوال الدنيا والآخرة ، ولتبادل الآراء فى فلسفة الحياة وما بعد الحياة . واسم هذا الرجل (عبد الصبور) وقد قطع حياته عزبا ، وكان يرى أن الزواج هو سبب الشقاء والبلاء وسبب خراب البلاد والعباد !

وأما المرأة فهى « أم رتيبة » التى كان أخوها هـذا عائقا دائما لها دون الزواج ، فقد خطبها الكثيرون فأباهم أخوها ورفضهم جميعا لما كان يراه فى أمر الزواج ، فقطعت حياتهـا هى الأخرى عزبة حتى بلغت الخامسة والأربعين وهى بين الحسرة والأسف واللهفة على الزوج الحبيب ، والولد النجيب !

وكان لها جار اسمه « سيد افندى » يشتغل خبيرا فنيا

فلسطين العربية — المساحة ٥ ، السكان ٥٣٠ ألفا الكثافة ١٠٦ بدون اللاجئين

السودان المصرى — المساحة مليونان و٥٠٦ ، السكان سبعة ملايين و ٥٥٨ ألفا ، الكثافة ٣

سورية — المساحة ١٨٧ ، السكان ثلاثة ملايين و ٤٣٥ ألفا ، الكثافة ١٨ بدون اللاجئين

تركيا — المساحة ٧٦٧ . السكان ١٩مليونا و ٦٢٣ ألفا . الكثافة ٢٦

اليمن — المساحة ١٩٥ ، السكان أربعة ملايين و ٥٠٠ ألف ، الكثافة ٢٣

فى معمل « طرشى » ! جاء يخطبها من أخيهـا « عبد الصبور » الذى ما كاد يعلم صناعته حتى طرده شر طرد لما كان بينه وبين « الطرشى » — كما يقول — من عداء قديم مستحكم ! ثم مات أخوها فانكشفت النمـة وزال العائق الثقيل وتزوجت « أم رتيبة » من « سيد أفندى » على يد (مأذون) صديق من مريدى أخيهـا « عبد الصبور » ومحبيه

وقد كتبها المؤلف (الأستاذ يوسف السباعى) باللغة العامية ؛ لأنه يرى أنه « من الجنون أن يحـاول إنطاق أبطالها باللغة العربية » وللمؤلف فى ذلك بواعث وأعذار ! أما البواعث فهى أنه متغلغل فى فهم الروح الشعبية واللغة العامية تغلغلا قل أن توفر لغيره ، فهو يجد يسرا وسهولة فى الأداء باللغة العامية قد لا يجدها فى الأداء باللغة العربية ! وأما الأعذار فإن أبطال الرواية — أو أغلبهم على الأصح — من عامة الشعب الذين لا تجرى اللغة العربية على لسانهم فى شئ ، فكان من كمال « الواقعية » — فى نظر المؤلف — أن يكون كلامهم باللغة العامية ! وجو الرواية — كذلك — جو شعبى خالص ، لا يبدو فيه الكلام العربى إلا كما تبدو الرقعة فى الثياب ! هذه بواعث وأعـذار المؤلف — على ما يبدو لى — فى استعمال اللغة العامية ، ولكنى نظرت فوجدته يخاطب الخـادم « زينهم » المسرف فى الشعبية بقول أبى نواس (وداونى بالتى كانت هى الداء) ، ويخاطب الخادمة « سنية » بقول أبى العلاء (هذا جناه أبى على) فكيف تسنى لهما أن يفهما ذلك وهما أقل أشخاص الرواية علما وإدراكا ؟ ووجدته يجرى فى الرواية عددا من الألفاظ العربية الفصيحة مثل قوله « المصل الواقى » ، « حاجة تبدد الإيمان » ، « الدنيا سفر والآخرة غاية » وغيرها ، فكيف أمكن أن تفهم هذه العبارات فى الجو الشعبى الذى انحدر من « حوش آدم » ؟ أنا لا أشـير باستعمال اللغة الفصيحة العالية الجزلة على المسرح ، ولـكنى أريد الحلقة المفقودة عندنا ، أريد اللغة العربيـة اليسيرة السهلة التى لا يفصلها عن العامية إلا حاجز رقيق لطيف ، واعتقادى أن الأستاذ يوسف السباعى — وقد بلغ فى فهم اللغـة العامية والروح الشعبى مبلغا بعيدا — يستطيع بشئ من الجهد والدأب والمشقة أن يجئ لنا بهذه الحلقة المفقودة

والأستاذ يذكر لنا أن هذه المسرحية أول محاولة منه فى كتابة المسرحية ، فإن كان الأمر كذلك ، فإن الأمل المرقوب منه كثير .. إن الموهبة مكتملة فى المؤلف دون شك ، وإنما تنقصه فى معالجة « المسرح » أمور أرجو أن يتوفر على استكمالها ، وأنا أهمس إليه ببعض ما فى مسرحيتنا هـذه من تلك الأمور ، فإنى أرى فيه بوارق وضاءة من أمل كبير

أراه يوزع الحوادث والـكلام على الفصول توزيعا غير عادل ! وأنا أعلم أن الحوادث قد تقتضى المؤلف شيئا من ذلك ، ولـكننى أعلم كذلك أن المؤلف القادر هو الذى يحكم هذه (الحوادث) ويطوعها لقلمه ولتصرفه ! فالفصل الأول كبير مزدحم ، والفصل الأخير صغير متخاذل ، والفصل الثانى بين بين !

وأراه يعنى — أكثر ما يعنى — بإيراد النكتة تلو النكتة ، والأصل فى المسرحية أنها « موضوع » والنكتة فيها ثانوية لا يجوز لها أن تغطى على الموضوع الأصلى الذى هو « مركز الاستثارة » كما يقول فقهاء المسرح

وأراه يكثر من الحكايات الجانبية التى تقع فى السرحية كما تقع (الجملة المعترضة) فى الـكلام ! والإكثار من هذه الحكايات — فوق أن فيه تعطيلا لحركة المسرحية — فهو يصرف المؤلف عن الاهتمام بالموضوع الأصلى الذى يجب أن يـكون له المحل الأول دائما ، وقد أورد المؤلف من ذلك حكايات طويلة كحكايات « المزتين » وحـكاية « البنت هانم » صديقة الشيخ جاد وسواها .

وأراه « يرشح » لبعض الحوادث بكلام سافر يدل عليها قبـل وقوعها ! مثل « إرهاص » أم رتيبة بقدوم الضيف فيقدم الضيف بعد إرهاصها ومثل إرهاص « سيد

أفنـدى » بأنه سيموت وتوكيده ذلك وتوديعـه لأهله وصعوده إلى السرير ليموت فيأتيه الموت فعلا! وغير ذلك. والمسرح (أفعال) لا (أقوال) فالحوادث وحدها هى التى ترهص وترشح إن جاز أن يـكون فى المسرح إرهاص أو ترشيح ..

وأراه — وذلك أمر ذو أهمية كبيرة للمؤلف — يجرى على لسان شخصياته كلاماً لا مواربة فيـه يمس مقدسات الناس وعقائدهم الدينية ، كلاماً سافراً جداً قد يشك بعض الناس فيما يعتقدون به ويخضعون له . ولست أريد أن أردده هنا ولـكنه مضطرب فى كثير من صفحات الرواية وخصوصاً فى الصفحات (١٣٥،١٦٤،١٦٩،٢٠٢،٢٠٣، ٢٠٤) والمسرح للناس جميعاً وفيهم الساذج وضعيف الإيمان والحائر بين العقائد ، فإن كانت إشارة لامعدى عنها إلى هذه الأمور فلتكن خفيفة خاطفة لا صريحة سافرة متكررة كما رأينا .

وأراه يسرف فى بحث المشكلات الاجتماعية والدينية بحثاً جدليـاً نظرياً كأنه محاضرات ! فيبحث — فيما يبحث — مثلا الاشتراكية ونظام الطبقات ومعاهدات « عدم الاعتداء » والإيمان الأعمى والموت وما بعد الموت وسواها ، وذلك تحميل لهذه المسرحية الـكوميدية مالا تحتمل ! واعتقادى أن مرد ذلك القلق عند مؤلفنا الفاضل إلى « رباعيات الخيام » التى ترجمها والده الأديب الـكبير المرحوم الأستاذ محمد السباعى وعاش مؤلفنا فى جوها منذ كان طفلا فامتلأت بهـا نفسه وأخذ يرددها منثورة فى مسرحيته !

وأراه ينطق الخدم وغيرهم بكلام قد يجرح حياء بعض من يرودون المسرح (كقوله تناكحوا تناسلوا) ، وقوله (تبق قيمة العيشة إيه لما الواحدة ماتعملش الحاجة اللى اتخلقت علشانها ؟) وقوله (أمد إيدى تحت القميص بس ماتبقيش تقولى شيل إيدك) ! ومثل وصف صدر المرأة وبطنها قبل الزواج وبعده !

وأريد أن أسأل المؤلف : كيف ينتقل الحديث فجأة من حديث (الملوخية والـكسبرة) إلى حديث زواج أم رتيبة ولا اتصال بينهما ؟ وكيف يدخل الخـــدم ويخرجون هكذا دون داع ودون استئذان ؟ وكيف يجرأون هكذا على المراك بالكلام وبالأيدى ، وكيف يتغزلون بالغزل المكشوف أمام سادتهم ؟ اللهم إلا إذا كان دخولهم لدفع ملل من حديث طويل أو لإحداث حركة فى موقف خامد ! وكيف تستفهم (أم رتيبة) هل مات (سيد أفندى) عند ماشرب ماء اللفت وهو طفل مع أنه يسكن جوار منزلها وتراه كل يوم وتسمع عنه كل يوم وتأمل الزواج به ؟ وكيف يسأل (عبد الصبور) — فى أول الرواية — عن صديقه (علوان افندى) الذى لم يحضر مع مريديه ومحبيه سؤالا نفهم منه أنه يعجب لعدم حضوره معهم ويستنكر ذلك مما يدل على أنه يواظب على حضور هذه الجلسات التى يعقدونها لتحضير «الأرواح» ثم تمضى الرواية كلها دون أن نرى (علوان افندى) هذا ؟

وأريد — قبل أن يمضى بى الحديث إلى غايته — أن أنوه بالمجهود الـكبير الذى بذله الأستاذ فتوح نشاطى فى إخراج هذه المسرحية ، فقد التمس لـكل دور الشخص الذى لا يتصور الخيال أن أحدا غيره يناسبه ! إنه قد تعمق فهم شخصيات المؤلف وأخرجها لنا كما يريدها المؤلف تماما حتى صارت شخصـيات نموذجية فى موضوعها ومعناها وصورتها أيضا ! وإن الحيل المسرحية التى اعتمد عليها فى تحضير « أرواح » الموتى ، وفى تحريك المنضدة والكوب والـكراسى حيل بارعة لايظهر فيها افتعال أو صنعة ! ولقد نهض الممثلون بأدوارهم فى براعة أشهد أنها فى الذروة من البراعة والشـقة والجهد ، ولا أدرى كيف أشيد بأحدهم وأترك الآخرين فكلهم ناجح وكلهم مشكور ، بيد أنى آخذ على « وداد حمدى » التى كانت تقوم بدور الخادمة أنها لم تكن خادمة حقا ! وأقرر أن هذا عيب شائع فى ممثلينا ، فهم يرضخون لحـكم (الصنعة) عندما يكلفون تمثيل أدوار

الخدم ، ولكنهم يضمرون الكراهية لهذا الدور بينهم وبين أنفسهم ! فتراهم لا يعملون تماما ما يعمل الخدم ، وإن عملوا فإنهم يحاولون أن تبدر منهم لفتة عظيمة ، أو كلمة فخمة ، أو مشية وقورة، تشير إلى أنهم ليسوا من الخدم فى شىء !! وذلك نقص أرجو أن يتلافوه !

وبعد : فأرجو أن يعلم المؤلف أننا نرقب منه خيرا كثيرا للمسرح ، وأننا نرى فيه مواهب متدفقة أصيلة ، وأن اللغو الذى أثير حول هذه المسرحية إنما هو من عبث الذين لا يعرفون عن المسرح إلا خشبته وأنواره ! والذين يحسبون المسرح مجرد شموذة بيانية ، أو خطب منبرية ! أرجو أن يتوجه الأستاذ يوسف السباعى إلى التأليف المسرحى بكلياته، وأن يحاول اصطناع اللغة العربية السهلة التى أشرت بها، وأن يدرس فنون المسرح دراسة جد وصرامة لا دراسة هواية فحسب، وأنا زعيم له — بعد ذلك — بأنه سيكون من كبار مؤلفى المسرحيات الكوميدية ، وسيكون النقد — عندئذ — أسعد ما يكون وهو يقدم للجمهور هذا المؤلف الكبير

علي متولي صلاح

آراء وأنباء

جوائز فؤاد وفاروق

علمنا أن الرأى قد استقر على أن تبقى جوائز فؤاد وفاروق للادب والعلوم والتاريخ والقانون على النظام الذى وضع لها فى المرسومين اللذين أنشئتا بهما . ولن يقع تغيير عليهما إلا فى اسميهما وموعديهما . فأما الاسم فسيكون (جوائز الدولة) ؛ وأما موعداهما فسيكونان فى غير ذكرى وفاة فؤاد وذكرى جلوس فاروق ، وسيعلنان فيما بعد

المؤتمر العلمى العربى الأول

وافق مجلس جامعة الدول العربية على قرار اللجنة الثقافية بعقد مؤتمر علمى عربى ، فى مدينة الاسكندرية ، فى أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩٥٣ ، يشتمل على ثلاث شعب وهى :

شعبة البحوث العلمية المبتكرة ، وشعبة المشكلات العلمية العامة ، وشعبة المحاضرات الثقافية العامة

وقد تكونت بالقاهرة لجنة للاعداد لهذا المؤتمر ، بناء على قرار من المكتب الدائم للجنة الثقافية . ورأت هذه اللجنة أن تشمل البحوث التى تقرأ فى الشعبة الأولى من شعب المؤتمر فروع العلم الآتية : علوم الرياضة والطبيعة والأحياء والكيمياء والجولوجيا ، وتقترح اللجنة أن يقتصر البحث فى الشعبة الثانية من شعب المؤتمر على المشكلات الآتية : المصطلحات العلمية ، التأليف والترجمة والنشر ، إعداد مدرسى العلوم ، العلم والاقتصاد القومى .

أما الشعبة الثالثة فتخصص محاضراتها بدراسة تاريخ العلوم عند العرب . وسيدعى للاشتراك فى هذا المؤتمر وفود الدول العربية، ومندوبو الهيئات العلمية، والعلماء من العرب، وذلك لقراءة البحوث المبتكرة ، والتشاور فى وسائل تذليل العقبات وحل المشكلات التى تعترض تقدم العلوم والبحث العلمى فى البلاد العربية

الصحفيون فى أوبرج الفيوم

دعا الأستاذ عبدالعزيز طلعت حرب عضو مجلس الإدارة المنتدب ببنك مصر ، لفيفاً من أعضاء نقابة الصحفيين لتمضية نهار كامل بأوبرج الفيوم ، وهو فندق عظيم مقام على ساحل بحيرة قارون ، وهى بقعة من أجمل مشاتينا المصرية، ومن الأمكنة التى يستطيع الزائر أن يقضى فيها وقتا هادئا لطيفا صيفا وشتاء ، وهو بمثابة مصحة للاعصاب المتعبة ، والأذهان المضطربة ، والنفوس الثائرة . ذلك أن المناظر الريفية الخلابة تشرح الصدر ، وتمتع البصر اذ يمتد طويلا فى فضاء البحيرة المتلون ، فمن مناظر جميلة على صفحة الماء الزرقاء المترقرقة فى اليوم الصحو ، إلى مناظر تشبه الغروب

والوقت ضحى أو ظهرا إذا كانت السماء ملبدة بالغيوم ، فتظهر القوارب والشرع كأنما تسير إلى جوف الغيب الذى لايدرك، أو تنتشر على أمواج الماء فى اليوم المشمس فتنافس الشروق فى بعث الأمل فى النفوس البائسة ، وتشرح الصدور المثقلة بالمتاعب ، وتخفف عن الكواهل عبء المسوليات .

وهيأ لنا الأستاذ الداعى رحلة جميلة إلى تفتيش مصائد الأسماك ، وقدم الأوبرج طعام الغداء لضيوفه الكثيرين إلى جانب نزاله العديدين الذين كان يبدو على محياهم البشر والرضاء . وعدنا فى سيارات الفندق التى ذهبنا بها فى راحة وبشر ، بعد أن استودعنا الأستاذ عبد العزيز طلمت وطلبنا إليه أن يكثر من أمثال هذه المشاتى وتوجيه أكبر عناية للمصايف على الشواطىء المصرية الجميلة ، التى تضارع أحسن شواطىء العالم إن لم تمتز عليها بأشياء كثيرة . وحبذا لو اهتم أصحاب رءوس الأموال منا لأن يتعاونوا على إنشاء المشاتى والمصايف على أحدث النظم فى مختلف المواضع الصالحة لذلك بمصر ، حتى يمكن للمواطنين الإفادة من الاستمتاع بأجواء بلادهم ، والتى يمكن أن تكون مهبطا للسائحين من جميع أنحاء العالم ، ولتكون من أربح موارد البلاد الاقتصادية .

يوم الفلسفة

أقام أساتذة الفلسفة والتربية بوزارة المعارف حفل تكريم للأستاذ المربى مظهر سعيد عميد الفلسفة وعلم النفس بالمعارف بنادى دار سينما ريفولى . وقد شهد الحفل جمع عظيم من رجالات وزارة المعارف والجامعات ، والصحافة ، وشرف الحفل نائب الرئيس القائد اللواء محمد نجيب . وبعد أن قال رجال الفلسفة والتربية كلمتهم فى تكريم يوم التحرير وعميد الفلسفة والتربية ، وبعد أن قال الدكتور منصور فهمى كلمته المستفيضة ، قام رجل الجيش الصاغ الديب ، فتكلم عن الفلسفة وعن العلماء ومهمتهم فى انجاح سياسة الدولة فى عهدها الجديد السعيد، بمقدرة العالم المثبت، وتجربة السياسى المحنك ، ثم عرج على المبادىء التى يجب أن يضعها أساتذة الفلسفة والتربية أمام أعينهم ، والطرق الفعالة المجدية التى ينفذون بها إلى نفوس طلابهم ، حتى نتمكن من بناء دولة متينة العمد ، ثابتة الأسس ، سامية الغرض . ودهش الناس أن يجمع الضابط بين العلوم الحربية والعلوم الفلسفية والتربوية والاجتماعية ، ولكن لعل عجبهم يخف إذا علموا أن نفراً عظيما من ضباط الجيش الذى تولى تحرير البلاد .. على أعظم جانب من العلم والثقافة . وأنه لمن حسن الحظ لمصر أن يتولى أمره هذه النخبة الممتازة من أبنائه

وكان مسك ختام هذا الحفل كلمة الشكر التى ألقاها الدكتور مظهر سعيد المحتفى به ، متدفقاً كعادته بدرر الكلم وسامى المعانى .

يوم التحرير

امتاز الأسبوع الماضى بما حدث فيه من أمور مهمة ، فقد احتفل الشعب والجيش بيوم التحرير ، ولقد أتت الوفود ممثلة للشعب من مختلف أنحاء البلاد ، وعرض من وحدات الجيش جانباً من أنواع نشاطه ، وحذا حذوه معاهد العلم على اختلافها ، وممثلو الجاليات الأجنبية فى صفوف الكشافة والجوالة ؛ كما زان العرض صفوف نظامية ممتازة من فتيات الكشافة ، ومرت المواكب التى ترى نشاط الأمة المتنوع . لقد كان يوماً عظيماً خالداً ، نعم لقد كان مهرجان يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يوم التحرير الذى لا يمكن أن ينسى مهرجاناً فخماً ؛ ذلك بأن يوم التحرير سطره التاريخ فى صفحات الأزل بحروف من نور ، وصار يوم البعث ، يوم الحياة .

وكان أهم ما امتاز به يوم مهرجان التحرير .. الخطبة العظيمة التى ألقاها الرئيس القائد اللواء محمد نجيب ؛ فقد عبر فيها عن آلام الشعب وآماله ، ألقاها بلسان الحق والقوة والإخلاص، فنفذت إلى كل قلب، واستقرت فى كل نفس، واعتمدت دستوراً لن يحيد عنه إنسان واحد فى الوادى ،

في عالم الكتب : نقد وتعريف

الزنابق الحمر لطاغور

ترجمة الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

من دلائل النهضة الحديثة في مصر ، وفي الشرق العربي ، أن يتحرك الأدباء إلى نقل نفائس الكتب عن لغاتها التي صدرت بها . ولم يكن الأمر كذلك منذ عهد قريب ، بل كان يسعى الناقل إلى الإنجليزية أو الفرنسية يطلع فيها ، وينقل عنهما المؤلفات الفارسية أو الهندية أو الصينية . ونحن نعلم أن الترجمة مهما تكن أمينة فلن تقوى على نقل الآثار الأدبية بدقة تامة ، ونعني بالآثار الأدبية الشعر والتمثيليات . وعلة ذلك أمور كثيرة ، أهمها خصائص كل لغة مما يجري فيها من تعابير ، وليس لها مثيل في اللغات الأخرى . وهذا هو السبب في اختلاف التراجم الفرنسية عن الإنجليزية للأصول اليونانية مثلا . بل لقد تختلف الترجمة في اللغة الواحدة تبعا لاختلاف ذوق المترجمين ومقدار فهمهم للأصول ، ولذلك تتعدد التراجم للنص الواحد

مما لا شك فيه إذن أن الناقل يبعد عن الأصل بعض الشيء ، فإذا جاء ناقل وترجم الأصل عن لغة أخرى فقد ابتعد خطوة أخرى عن الأصل . ولذلك كانت الترجمة من الأصل رأسا أفضل من الترجمة عن الترجمة

ويسرنا أن نقرأ تمثيلية الزنابق الحمر للشاعر الهندي رابندرانات طاغور معربة رأسا عن الأصل البنغالي ، بقلم الأديب أحمد عبد الغفور عطار الذي يقول في كلمته يقدم المسرحية : « وقد حاولت جهد المحاولة أن أنقل جو طاغور وروحه وفنه وبساطته ، وأقترب في أسلوبي العربي من أسلوبه في البنغالية . فإن كنت قد وفقت فالحمد لله ، وإلا فعذري إن كنت أمينا في النقل والترجمة ، وبذلت غاية الوسع ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها

والمترجم من مكة المكرمة ، ولكنه درس في مصر ؛ ولذلك لا يحس في أسلوبه أو عبارته أي غرابة عن اللغة المصرية . وهو يعرف اللغة البنغالية . وحدثني أنه استغرق في ترجمة هذه المسرحية ثلاث سنوات مع أنها صغيرة الحجم ، وهذا شأن الفنان الذي يستغرق في فنه ويتأنى في عمله والمسرحية تعبر عن روح الهند وفنها الأصيل الذي يختلف عن غيره من الفنون في الدول الأخرى

وهي رمزية لا تمثل الواقع ، ولكنها تصور مع ذلك الحياة الإنسانية أبلغ تصوير . فلا يوجد إقليم اسمه «ياكشا» ولا يعبر عن الملك بصوت دون أن يرى

يصور طاغور في هذه المسرحية المجتمع البشري ، ويصور العلاقة بين الملك والشعب ، وبين الرجل والمرأة ، وبين العمال والرؤساء ، ويصور منزلة هذه الأشياء التي يتعامل بها الناس ويتداولونها ، كالذهب والخمر والشعر والغناء والزهور

فالملك رمز الظلم ، والمرأة رمز السحر ، والعامل رمز الدأب ، والذهب رمز القوة ، والخمرة رمز النشوة ، والزنبق الأحمر رمز الحب والخوف

تبدأ المسرحية بغلام عامل يحفر الأرض يخاطب « نانديني » المرأة الجميلة الفاتنة رمز السحر

كيشور : ألديك أزهار كافية يا نانديني ؟ لقد أحضرت

أو يشذ عنه ، بعد أن فرغ من خطبته الجامعة تلا القسم وردده من ورائه الملايين في صدق وعزم ، ونقاء طوية ، وعاهد الناس أنفسهم على الثبات على هذا المبدأ ، كما أشهدوا الله على أنفسهم ، ورجو الله أن يكون لهم خير نصير ، ومن ينصره الله فلا غالب له . -

لك بعضها ، وأكثرت من بعض الألوان

ناندينى — كيشور ، انطلق ، تحرك ، عد إلى عملك ، أسرع ، أرجو أن تعود وإلا تأخرت

كيشور — يجب أن أختلس جزءا من وقتى الذى أنفقه فى الحفر بحثا عن الذهب ، لأحفر من أجلك حتى أحضر لك الأزهار

ناندينى : ولكنهم سيعاقبونك إذا علموا بما صنعت

كيشور : قلت : يجب أن تحصلى على زنابق حمر . تالله ما أعظم سرورى لندرتها فى هذا المكان !

بهذا المطلع البديع يستهل طاغور مسرحيته . فهذه الزهور نادرة ، ولا يعرف سر مكانها إلا هذا الشخص العامل . وهى نادرة ندرة الذهب الذى يحفر المئات منهم الأرض للحصول عليه . ليقدموه إلى الملك ، وإلى أصحاب السلطان . وليس لهؤلاء العمال الحفارين أسماء إلا فيما بينهم وبين أنفسهم . أما فى نظر رؤسائهم ، فلا يعرفونهم إلا بأرقام . إنهم « نمر » لا أكثر . فهذا الحفار يشق فى الأرض باحثا عن الذهب ، ولكنه غير راض عن عمله ، بل ساخط عليه ، على حين يقبل باحثا عن الزنابق حتى يستطيع تقديمها هدية إلى ناندينى . فترضى بذلك نفسه

أما الملك وأعوانه ، فإنهم يدفعون الناس للبحث عن الذهب ، لأنه الوسيلة لاستعبادهم ، مع أن الذهب شئ « ميت » لاجمال فيه . وانظر إلى الحوار بين ناندينى وبين الأستاذ الفيلسوف

ناندينى : يحيرنى أن أرى مدينة بأسرها تدفع رأسها فى التراب دفما ، وتنقب بكلتا يديها فى الظلام . أنتم تحفرون النفق فى العالم السفلى ليل نهار ، وتزجمون بثروة ميتة أودعت الأرض منذ أجيال فصانتها

الأستاذ — نحن نبتهل إلى شيطان هذه الثروة الميتة ، وإذا استطعنا استعباده رقد العالم تحت أقدامنا دون عناء

ناندينى — ألهذا تخبئون مليككم خلف حائط من الستار المنّم ؟ أخوفا من أن يكشف الناس أنه إنسان ؟

الأستاذ — كما أن لشبح تراثنا الميت بأسا شديدا مخيفا فإن لشبح الملكية الغارق فى الضباب بأسا أشد وأقوى . إنها بقواها غير البشرية ترعب الناس

ناندينى — كل ما تقوله كلام نسجته الصنعة وزوقه الخيال

الأستاذ — إنه صنعة زوقها الخيال . ولئن كان العارى أسرع فهما وتصديقا ، فإن الملابس المصنوعة هى التى تستر ما فى أجسادنا من عيوب ، وتخفى ما نود كتمانه ، وهى بعد تحددنا . لشد ما يحمنى أن أناقشك الفلسفة !

ناندينى — هذا غريب منك أنت الذى اتخذت وكرك فى الليل والنهار بين كتلة من الصفحات الصفر الشاحبة مثل حفاريك الذين ضلوا فى جوف الأرض . إنك تضيع وقتى سدى

هذه عبارات سهلة ولكنها تعبر عن فلسفة فى غاية العمق . إنها قصة الإنسانية التى ذهبت فى الحضارة شوطا بعيدا ، فأصبحت تصنع كثيرا من الصناعات لا تقوى على المعيشة بدونها ، بل أصبحت تمجدها وتعبدها . الحق أن الإنسان المتحضر عبد لآلاف الأشياء التى يستعملها ، والتى يقتنيها بالمال ، كالمسكن وما فيه من أدوات ، وهذه الملابس المعقدة ، وسائر المقتنيات الكثيرة التى تزحم بها أنفسنا فى هذه الحياة . ومن أجل هذه المقتنيات ، والسبق فى الحصول عليها ، أخذ الناس يتعبد بعضهم بعضا بالعسف والإرهاب ، واستعمال السيف والسوط ، حتى نزل الرعب فى القلوب ، وسرى الخوف فى أوصال العباد . ولو تأملوا لرأوا أن حكامهم لا حول لهم ولا قوة ، وأنهم بشر كسائر البشر

ويحدثنا طاغور عن فلسفة الحب . إنها فى نظره جاذبية طبيعية بين الرجل والمرأة ، لا يمكن أن يعرف سرها ، أو يعلل أمرها . لا يمكن إرجاع الحب إلى سبب معين ، فالصلة

بين الرجل والمرأة ، واتصال أحدهما بصاحبه ، يرجع إلى الحظ . وإذا كانت ناندينى قد اختـارت الزنابق الحمر دون غيرها من الألوان ، ودون غيرها من الزهور كالياسمين والسوسن ، فذلك لأن حبيبها « رانجـان » يدعوها « الزنبقة الحمراء » وهى كذلك تحس أن لون حبه أحمر كهذا الأحمر الذى يطوق جيدها

وللألوان فلسفة . ولـكل شئ معنى ودلالة

وتختلف الدلالات باختلاف نظرة النـاس . فهـذه ناندينى تفهم من الزنبقـة الحمراء معنى الحب . ولـكن « جوكيل » وهو أحد الحفارين يفهم منها معنى آخر ، فهو حين يرى جيدها وقد تدلى منـه الزنبق الأحمر يقول لها « إنك تظهرين لى كشعلة من اللهب القانى يججهـا الشيطان »

حقا ما أعجب طاغور ! إنه يسطر مسرحيته بالألوان كما يفعل الرسام . إنه يريد أن يحلى جيـد الملك بأكاليل من الزهر الأبيض ، والبياض رمز الموت ، والحمرة رمز الحياة . وإذا كان الملك يجمع الذهب ، ويستمتع بلونه وتوهجه ، فإن لونه ميت كالذهب نفسه ، أما لون الزنبق فحى لأن الزهر حى

يفتن الذهب النـاس لأنه رمز القوة ، ولـكنها قوة وهمية ، لا يمكن أن يشترى بهـا الإنسان الحب ، وهو سبيل السعادة . وفى ذلك يقول صوت الملك معترفا لناندينى

« كل ما أملك أثقال ميتة ، وحطام أصم . لا الوفرة فى الذهب بمستطيعة أن تخلق جريئا ، ولا الزيادة فى القوة بقادرة أن تهب الشباب .. أنا أستطيع أن أحرس بالقوة التى أملـكها ، ولـكن ... آه ، لو كنت أملك شباب « رانجان » لحررتك ، ثم تشبثت بك ، وأخـذتك بين أحضانى بعنف . إن وقتى ينفق فى عقد الحبـال المبرمة ، ولـكن وا أسفاه ! كل شئ يمكن أن يحفظ بإيثاقه إلا السرور والمرح فإنهما لا يوثقان »

وإذا كان الملك شـقيا بذهبه وقوته ، ولا يجد فيهما عزاء أو تسلية ولا ترويحـا للنفس ، فإن الشعب يلتمس الراحة من الـكدح والدأب فى العمل بالنشوة التى يجدها فى الخمر . وكل ما يؤدى إلى النشوة فهو خمر . فنى الطبيعة خمر ، والشراب المعروف خمر يبعث أيضا إلى النشوة

سئل « بيشو » وهو فيلسوف وشـــاعر من أتباع ناندينى عن السبب الذى يدفع الناس إلى الشراب فأجاب :

« وسعت رحمة الله كل شئ ، وستتسع رحمتـه لمن يشربون قليلا فيعفو عنهم . لقد خلقت أذرعنا — نحن الرجال — لنبذل أقصى ماوضع فى عضلاتنا من خمر القوة ؛ أما أذرعكن — أيهـا النسـاء — فقد خلقت لتقديم نبيذ العناق . إن كان فى هـذا العالم جوع يدفعنا إلى العمل والـكدح فإن فيه أيضا اخضرار الغـابة ووهج الشمس المشرقة ، وكلاهما يحملنا تملين إذا ما نادتنا أيام العطلة »

قالت محدثته : « أتسمى كل هذه الأشياء خمرا ؟ »

فأجاب بيشو : « نعم خمر الحياة ينبوع من اللـذة والنشوة لا ينضب ولا يفسد . اسمعى شكاتى : جئت إلى هذا المـكان مدفوعا إلى العمل والسطو ليلا على العـــالم السفلى . إن نصيبى الذى أستحقه من الخمر الطبيعية تلقاء عبوديتى للطبيعة قد حرمت منه ، ولهذا أجد إنسانى الباطن يتشهى الخمر الصناعية ليتخفف من تعب النهار »

وأحسب أننا وقد ارتفعنا إلى هـذه الآفاق العليا من فلسفة الحياة ، لا يعنينا أن نعرف كيف سارت المسرحية وكيف كانت خاتمة الملك ، لأن الحياة دوامة عظيمة تبتلع فيها كل شئ ، وتنقلب فيها الأشياء ، فتعلو تارة ، وتهبط تارة أخرى ، وتفقد قيمتها ، ويبتلعها هذا الغول الهائل الذى يسمى الزمان

أحمد فؤاد الأهوانى

طرائف وقصص

شيء كالربيع

« إلى الباحثين عن حقيقة الفن وعشاق الجمال »

للأستاذ محمد أمين (البندق)

كان « المطعم الروماني » في ذلك اليوم غريب الزحام ، وما ذاك إلا لأن أوفيليا الحسناء كانت منذ أيام قد راحت تتردد إلى زبائنها الكثيرين فوعدتهم بأشهى طبق من طيور الصيد، تقدمه إليهم بغير زيادة على ثمن الوجبة المعهود ، إذا ما عاد زوجها من رحلة الصيد في السبت ، وكان ذلك اليوم هو يوم السبت . وإذن فقد كان على أن أرضى ويرضى معي زميلي روزاي بتلك المائدة المهجورة عند باب لا يكاد يقفل حتى يفتح من جديد . وكان علينا أن نروض النفس أيضاً على الصبر . فالخادم الكهل جيانينو بعد أن جاءنا بالنبيذ قد شغله الزحام مرة أخرى ، فما عاد يستجيب لندائنا عليه بأكثر من « نعم ياسيدي . حاضر . »

على أن الانتظار في الحق لم يكن يضنينا . فقد كان صاحبي يتسلى بأن يرسم على ظاهر قائمة الطعام صورة بارعة لذلك المتسول الشيخ الذي جلس على مقربة منا وهو يعزف أنغام الفرح الصاخب على (الفيزارمونيكا) . وأما أنا فكنت أقلب النظر في ذلك العالم الصغير الغريب فأكاد أنسى كل شيء .

كان هناك فيرد يتيو المثال وقد رأيته يطلب اللتر الكامل من جيد النبيذ، فقلت لنفسي إنه لاريب قد أخذ عربوناً على تمثال للعذراء، عز الله على قبر أي تعيس من التعساء يوضع

وكان هناك توبي الرسام ، وكنت أراه يقنع في ذلك اليوم أيضاً بشرب الماء القراح وفي وجهه الصلابة والعزم، فأفكر في الصعاب التي يصادفها كل عبقري يأتي بالجديد .

وكان سوزي هناك أيضاً ؛ وجدته ضاحك الوجه لم تمنعه سنوه الخمسون من أن يضع في عروة سترته تلك الوردة الحمراء الملتهبة ، فلم أشك في أن علاقته مع تلميذته الصغيرة في الأكاديمية لم تزل على مايرام .

وأظل أتنقل بالنظر من مائدة إلى مائدة ، حتى ينتهي صاحبي وهو يهزني من ذراعي هزاً :

— فيرا الرسامة ! أتعرفها ؟

فأقول وما زلت شارد الذهن :

— كلا . ولكن يخيل إلى أن هذا الإسم قد سمعته من قبل .

— هي من أبرع الرسامات اللاتي عشن في روما

وكان هذا الإعجاب يبديه صاحبي — وهو الذي يبخل دائماً بالمديح — جديراً بأن يثير انتباهي . ولكن شيئاً غريباً في تلك المرأة هو الذي جعل نظري يتعلق بها فيتبعها وهي تبحث هنا وهناك عن مائدة خالية .

كانت ترفع رأسها كأنها ملكة . ولكن وجهها كان هادئاً ساخباً حتى كأنها شاعرة . وكان شعرها الغزير الذهبي يترسل ليناً على كتفيها فيوحي إلى النفس معاني الهدوء واللطف والبساطة .

وقد وقفت آخر الأمر عند عمود مغطى بخشب الجوز القديم فاطمأنت وحدها إلى مائدة . ولم يتأخر عنها جيانينو بربع اللتر المعهود . وأما صاحبي فقد عاد يقول وهو يراني أطيل إليها النظر .

— ألا تجدها غريبة ؟ إنها لأعظم امرأة عرفتها وإن لها لقصة .

ولم يحوجني الح عليه في الرجاء كيما يقص على ما كان يعلمه ، فقد كان يحس من نفسه كل الرغبة . وقال :

« كانت فيرا تعمل كنموذج للفنانين قبل أن تتوفر بنفسها على الرسم . وكان ينبغي لك أن تراها في ذلك الحين ، أعني قبل عشر سنين ، فقد كانت رائعة الحسن . وكان

جسمها الذي رأيته في أمسيات كثيرة ، ماريا يشتمل تحت النور القوي في نادينا القديم في شارع مارجوتا ، شيئاً يفتن العين والقلب . ولملك لاتاق في كبار الفنانين في ووما من لم يوح إليه هذا الجسم بعمل يعتز به فوق اعتزازه بأي شيء آخر . حتى ليقال إن الأستاذ (ف) الذي باع رسوماً رسمها لزوجه وبناته وهن عاريات أتم العرى قد أبى أن يفرط في رسم لها ود الكثيرون شراءه بأغلى ثمن . وهو يقول إنه يريد أن يأخذه معه إلى القبر ، لأنه كل ماظفر به من دنياه

« ولم يكن الأستاذ (ف) في ذلك الحين هو صاحب ذلك الرسم الكبير الذي يرتفع حتى يبلغ ثمانية أمتار ويزيد ، بل كان واحداً منا نحن الذين كنا نتردد على النادي كل مساء لكيما نرسم النموذج الحي لقاء صولديات قليلة ، لعلك تعلم كيف كنا نقتطعها من حاجات العيش اقتطاعا :

« وأقول إنه لولا ذلك لما استطاع الأستاذ (ف) أن يظفر بذلك الرسم الذي يعزه فوق إعزازه لأي شيء آخر ؛ فقد كانت تيرا تأبى أن تعرض فتنتها على شيوخ الفن في المراسم الكبيرة الجافية ، وتؤثرنا وحدنا بنعمة الإلهام من جسمها العجيب . فقد كنا شيعتها التي تلتف حولها في خضوع وعبادة .

« نعم كنا أتباعا لجمالها . وكانت تصطفي من جمعنا من تشاء . على أنك لم تكن تعلم ما الذي يدنيك منها وما الذي يقصيك عنها . فقد كنت تقرر أن بعض الحسن أولى أن يستميلها ، وأن بعض الشباب أحق أن ينال رضاها ؛ ولكنها كانت تعرض عن هذا وذاك ، وتقبل وأنت حائر والكل حيارى على القبح الذي كان يخطر لك أنه أشد ما ينفر ، والشيخوخة التي لم تحسب لها أي حساب .

« غير أنها كانت تعود فتستبدل الحسن بالقبح والشباب بالشيخوخة ، فلا أحد يتولاه اليأس من أن يفوز بمتعة ليلة . وهي كانت ليلة مفردة فلا يطمع أحد في أكثر منها . والويل لمن علل النفس بالآمال وطمع في دوام الحب . إنه كان يضيع قلبه ويتلف روحه

« وظلت فيرا على هذا النحو نموذجاً لحقيقة الجمال وصورة لإحدى ربات الأقدمين غريبات الأطوار ، حتى بدالها في أمسية من الأماسي أن تجول بين أشتات اللوحات بعد جلستها الأولى لترى كيف رسمها الرسامون ووقفت عند لوحة فانطلقت تضحك .

لم يكن هناك رسم ولا شيء يشبه الرسم في تلك اللوحة وإنما كان هناك على الأصح تراب الفحم امتزج به العرق الكثير ، فنشأت منه بقع سود كبار ، وإذا كان تحتها شيء فهو خيال امرأة لا يظهر للعين إلا على جهد

فقالت فيرا ، إذن فالرسم سهل يسير . فما يعجزني أن أرسم شيئاً كهذا

ونظرت إلى صاحب اللوحة ، وهو فتى غض الأهاب من طلاب الأكاديمية فإذا به يستند إلى الحائط وهو يبتسم وكأنه يدافع عن نفسه بذلك الابتسام ، فقلت لنفسي إنه مسكين ، وإن أمره لم يكن عن جهل بالفن . وكنت على يقين ؛ فقد جرى لي نفس ما جرى لذلك الفتى يوم أن رأيت جسم فيرا العاري لأول مرة . ولكن العرق الذي تصبب مني كان أقل . ولعل هذا لأن حظي من فورة الشباب كان أيضاً أقل . إلا أنني تمنيت بعد ذلك لو قد أصابني كل ما أصابه أو أكثر . فقد وقع عليه الاختيار في تلك الليلة ؛ ثم كان هو المختار أيضاً في الليلة التي بعدها ، وفي الليلة الثالثة ، وفي ليال أخرى متعاقبة . ثم بدأ نادينا يقل رواده لأن فيرا لم تعد تظهر . والشاب أيضاً لم يعد يظهر . ثم علمنا أن الاثنين قد طارا معا إلى عش على سطح دار صغيرة في (مونت ماريو)

وكف صاحبي عن حديثه لحظة ، فصب لي ولنفسه جرعة أخرى من نبيذنا القليل الذي كاد ينفد . وبحث في كل جيوبه عن شيء يعطيه لذلك العازف المسكين . ثم وصل الحديث فقال :

لم تعد فيرا تعمل كنموذج . وكان يقال إنها أحبت عيشة البيت الساكنة المطردة ، أكثر مما أحبت عيشة

الملاذ الطليقة المنوعة ، لأنها أحبت رجلها . ولم تحبه فحسب بل كانت تعبده عبادة صادقة ، وكان يخيل إليك أنها ترد إليه بهذه العبادة كل العبادات التى أسلفناها لها

كانت تقاسمه حياته الصعبة ؛ بل كانت تأخذ لنفسها وحدها من حياته الوجه الصعب . وتبذل قصارى الجهد كيما تتيح له الهدوء واليسر والدعة

كانت تطحن الألوان ، وتمد له التيل ، وتصلح له الإطارات إلى جانب ما تقوم به من شؤون الدار

وكانت تقطع شارع (ميداليا دورو) الطويل فى كل صباح على قدميها فى ذهابها إلى السوق وعودتها ، لتقتصد (الصولديات) القليلة ، ولا تنفقها على الترام . والشراء من السوق كان وحده كلفة صعبة . فقد كان عليها أن تمر بالباعة كلهم فتستعرض ما لديهم فى دقة وعناية ، قبل أن تقدم على شئ . وكانت تلتفت حولها فى كل لحظة ، وتأخذ حذرها ، حتى لا تراها جارة من جاراتها الكثيرات . فقد كان يعز عليها أن يعلم الناس أن فيرارى الأستاذ الجليل الفنى يعانى شظف العيش ، حتى لتشترى امرأته أوجل الدجاج وأوراق الخس (المفرطة) والبيض المكسور

« ولكن شيزارينا الرسامة ، صديقتها وخليصتها ، قد اطلعت على سرها وجاءت تقص علينا النبأ فى المقهى اليونانى فأحسسنا مرارة الأسف . إلا أن فيرا نفسها لم تك تأسف . وكنت إذا قابلتها فى بعض الطريق صدفة وما كنت تلقاها إلا صدفة ، حيتك وعلى ثغرها ابتسامة حلوة ، يتجلى فيها الرضا . فإن أطلت النظر إلى وجهها الذى بدأت تتغير قسامته بعض الشئ من أثر السنين فى حياتها الجاهدة ، أو تأملت فى ثوبها البسيط الذى حاولت بذوقها العالى أن تجمل له رواء ، أو تطلعت إلى شعرها الذهبى الذى لم تحسن ترجيله لعجلتها فى الصباح ردتك فى لطف كما ردتنى مرة بقولها وهى تضحك : سيدى الأستاذ ! لاتنظر إلى هكذا ! إنى امرأة صالحة ، وإنى لاأسمح..

« وكان إيمانها بفتاها كإيمان الشهداء لا حد له . فإذا قال لها قائل لماذا يتمسك فيرارى بذلك المذهب الغريب فى الرسم والناس لا يفهمونه ولا يرون فيه جمالا أجابته قائلة : إن فيرارى نابغة يجهل الناس قدره ، ولا ضير عليه أن يلقى الصعاب ، فكل نابغة قد تذهب قبل أن يدرك غايته

« وقد لقيتها بعد معرض عرض فيه فيرارى بعض رسومه فحمل عليه النقاد حملة قاسية . وسألتها ماذا قال فيرارى حين سمع ذلك النقد فقالت . وهى ثائرة النفس :

ماذا يعلم النقاد من حقيقة الفن ؟ إن الفن لا يعرفه إلا من عاش فيه . وقلت إنى لا أحسبهم قد بعدوا عن الحق. فقالت وهى تبدى المزاح وتخفى الجد : سيدى الأستاذ أليس من الجائز أن تكون غيورا ؟ »

إن اللواتى يشبهن فيرا ندرة بين النساء ، أو ماعلمت أن زوجتى حين ساءت حالى زمنا قصيرا لم يزد على شهر سمت إلى مرة بكل مافى المرأة من اللين كيما تقول إنها عثرت لى على عمل آخر أهون على من الرسم وأكثر ربحا وهو وظيفة بواب ؟

« لقد كانت فيرا فى الحق كنزا عظيما . إلا أن ذلك الفتى الغرير لم يقدرها قدرها . فقد أخذ بعد فترة من الزمن يميل عنها ويكثر من السهر خارج الدار متعللا لذلك بشتى العلل . وكانت فيرا تظن كل شئ إلا أن يكون الفتى قد بدأ يمل عشرتها . ولكنها علمت مرة بطريق الصدفة أن للفتى خطيبة من بنات (تراستفرى) الغاويات أبوها صاحب مطعم وأن الفتى يقضى مع الصبية فى المطعم وعلى شاطئ التيبر شطراً من المساء وشطرا من الليل

لم يكن فى إصبع فيرا (دبلة) كالتى تلبسها كل حليلة لأنها لم تكن حليلته . ولكنها كانت فى واقع الأمر زوجا كأفضل الأزواج . وإذن فقد كان لها أن تثور أو تبدى الغضب أو تصب على صاحبها اللوم ، ولكنها لم تلجأ إلى شئ من كل هذا

وعاد الفتى ذات ليلة ، فوجد عشاءه ساخنا مهيئا كما اعتاد أن يلقاه فى كل يوم ، ووجد معه رقعة قصيرة ، تقول فيها أنها لن تعود

وما فعله الفتى بعد ذلك قد تستطيع أن تدركه بالبداهة

لغـــويات

القدوم

في القدوم لغتان : (الأولى) ضم الدال من غير تشديد مثل (رسول) وهى التى يستعملها أهل القاهرة والوجه البحرى وجمعها (قدم) بضم القاف والدال مثل (رسل) و (قدائم) مثل عجائز

(الثانية) تشديد الدال مثل (نبوت) وجمعها (قداديم) مثل (نبابيت) وهى لغة أهل الصعيد

بقى شئ آخر وهو أن اللغويين حكموا على القدوم بأنها مؤنثة واستشهدوا بقول الشاعر :

قلت أعيرانى القدوم لعلنى أخط (بها) قبراً لأبيض ماجد

وعززوا هذا بأنها (آلة — أداة) والمعنى له تأثير فى الحكم على الشئ تذكيراً وتأنيثاً ولكن المصريين يذكرون القدوم فيقول : هو — هذا — كبير — صغير — انكسر ضاع — وأرى أنه صحيح وقد يكون وراثيا عن العرب أو جالياتهم التى نزلت بمصر . وله نظائر فى التذكير والتأنيث مثل السكين . ولو طبقنا نظرية الاداة والآلة لحكمنا على كثير من الآلات والأدوات الموجودة من علامة التأنيث بأنها مؤنثة مثل المنشار والساطور ... ولا يخفى ما فى هذا من الخطأ والفوضى

كنكة

الكنكة : هى أداة معروفة مصنوعة من الصفيح ونحوه لعمل (القهوة) ونحوها وهى محرفة عن (التنكة) وبعض أهل الصعيد يقولون (تنكة) بالتاء من غير تحريف واليك النصوص التى تثبت صحة ما ذهبت اليه :

جاء فى (محيط المحيط) التنك : صفائح من الحديد رقيقة تطلى بالقصدير اهـ

وجاء فى (المنجد) التنك : صفائح من حديد رقيقة تطلى بالقصدير وصانعه تنكجى اهـ

وجاء فى (البستان) التنك معدن أبيض لين واحدته تنكة اهـ

وجاء فى (تفسير الألفاظ الدخيلة) : تنك تركى (تنكة) وهو حديد ممزوج بالقصدير يدق صفائح ، وتنكجى : صانعه اهـ

وهذه التسمية مجازية من قبيل إطلاق اسم الأصل (التنك — التنكة) بمعنى الصفيح على فرعه المصنوع منه أعنى الأداة المعروفة

وأما تنكجى فهى نسبة إلى (التنك أو التنكة) على الطريقة التركية مثل قصبجى

علي حسن هلالي

تزوج بطبيعة الحال من ابنة صاحب المطعم . ولكن الرجل الغليظ لم يكن يؤمن بشئ غير الحقائق البينة ، فما زال بالرسام المسكين حتى أقنعه بالعدول عن الرسم وجعله يرضى بوظيفة صغيرة يأتيه منها مرتب ثابت ، فاطمأن بذلك على مستقبل ابنته . أما فيرا ...

ونظر كلانا إلى فيرا فإذا بها تنادى على جيانينو بإشارة هينة ، وتدفع إليه ثمن النبيذ وحده ، لأنها كانت مثلنا لم تذق طعاما ثم تنهض

ومرت بصاحبى تحيته بابتسامة عذبة ، وخرجت وهى خفيفة كالنسمة

وقال صاحبى :

إنى لأعلم أين وجهتها . ستذهب كعادتها فى مثل هذه الساعة إلى مقهى صغير أمام قصر الدمنة فتجلس هناك قرب النافذة ، لتختلس نظرة إلى فيرارى عندما يخرج . وبعد ذلك تمضى إلى بيتها كدأبها فى كل يوم لترسم لوحة أخرى من لوحات الزهر

رسمها ما أعجبه ! يجب عليك أن تراه ، فما أكثر ما فيه من الشعور وما أكثر ما فيه من السحر ! إنه شئ كالربيع

المنصورة محمد أصبع البندقي